د. عدنان عَلي رضا النحوي

ملحمة الجهاد الأفغاني

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

الطبعة الثانية

١٤١١هـ - ١٩٩٠م

الطبعة الثالثة

١٤١٢هـ - ١٩٩١م



دار النحوي للنشر والتوزيع

تلفون وفاكس ٤٠١٠٢٥٧ - ص.ب ١٨٩١ - الرياض ١١٤٤١

المملكة العربية السعودية



الإهداء

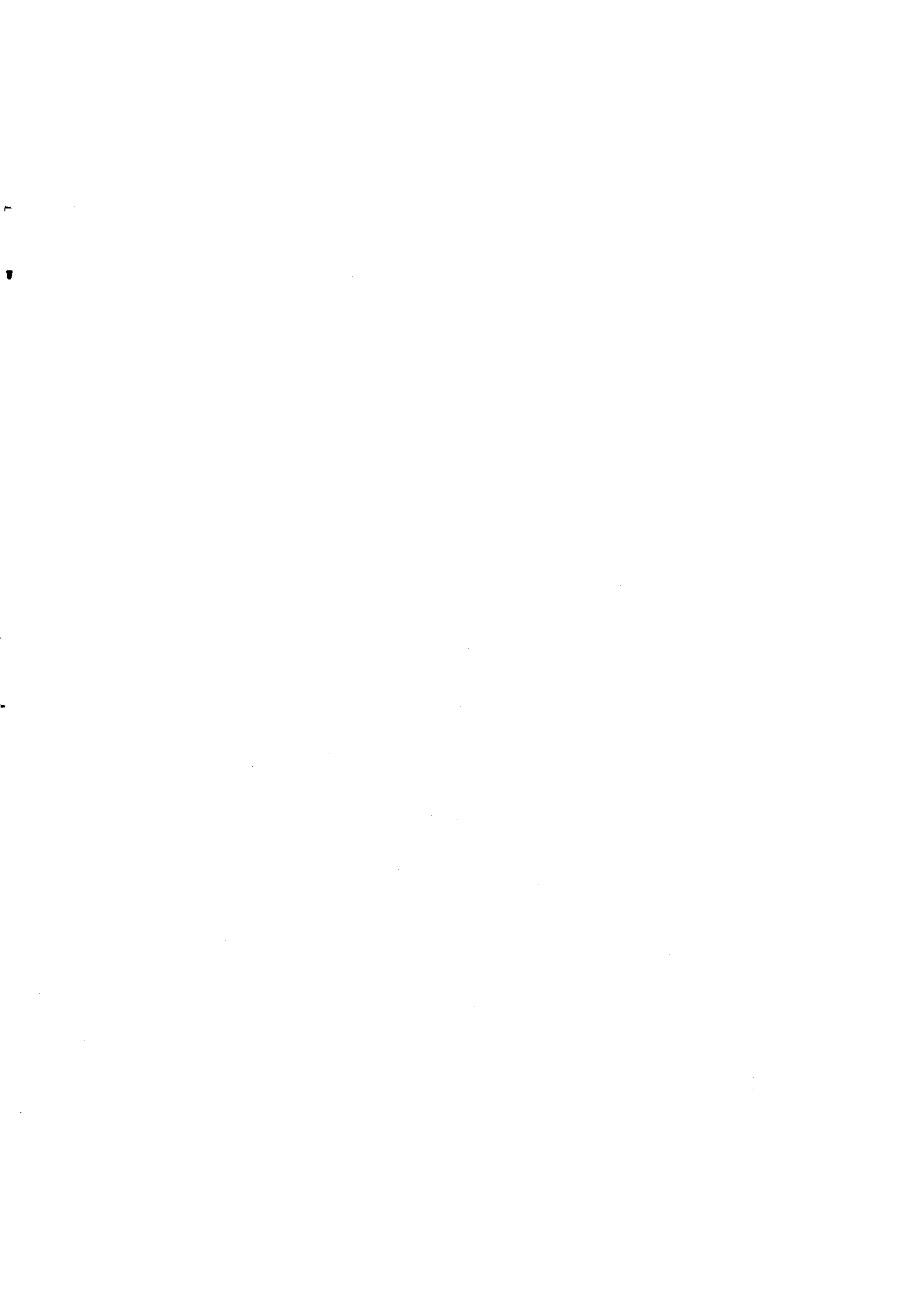
* إلى الشعب الأفغاني المسلم،
المؤمن بربّه،
المجاهد في سبيله.

* إلى قادة الجهاد الإسلامي،
في أفغانستان.

* إلى كل جنديّ مسلم مجاهد،
في الأرض.

* إلى الأمة المسلمة في شتّى أنحاء الأرض،
لترى أنّ ميادين الجهاد في سبيل الله،
كلّها مفتّحة..

لينفروا إليها خفافاً وثقالاً.



الافتتاح

آيات كريمة

* ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

(التوبة : ٤١)

* ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

(العنكبوت : ٦٩)

* ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾

(الحج : ٧٨)

أحاديث شريفة :

* عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ :

«لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال».

أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد (٩) باب (٤) حديث (٢٤٨٤).

* عن أنس أن النبيَّ ﷺ قال:

«جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»

أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد (٩) باب (٨١) حديث (٢٥٠٤).

مقدمة الطبعة الثالثة

قد يعجب الكثيرون لتسميتي هذا الكتاب «بالملحمة»، ولتسمية أمثاله من القصائد التي نشرتها كذلك «بالملحمة» مثل: «ملحمة القسطنطينية»، «ملحمة فلسطين»، «ملحمة الغرباء»، «ملحمة الأقصى»، و«ملحمة الهند». وربما يعجب بعض الناس لهذه التسمية وهم يبحثون عن آلاف الأبيات الشعرية تحت ظلال كلمة «الملحمة». فإن لم يجدوا ألف بيت أو أكثر اعتبروا التسمية خاطئة.

لابد إذن من توضيح هذه القضية أولاً. فالذين يعتبرون هذه التسمية خاطئة لعدم توافر ألف بيت من الشعر أو أكثر، وقعوا هم أنفسهم في الخطأ حين أصدروا حكماً دون أن يتوافر لديهم مقرَّر مُجمعٌ عليه. ذلك لأن أكثر ما لديهم هو وجهة نظر ورأي، لم تنتقل إلى حيِّز الإجماع الأدبيّ، ولم ترتق إلى مستوى القاعدة الأدبية الملزمة والقرار النافذ. وتظل هذه النظرة تحمل ظلاً من ظلال التبعيّة للتصوّر اليوناني القديم والروماني.

وربّما نجد بعض هؤلاء لا يحترمون قواعد الشعر العربي أو اللغة العربية، حتى يكادوا ينسفون قواعد اللغة العربية، وقواعد عروضها وبلاغتها، لأنها قواعد قديمة، ولكنهم يتمسكون بالتصوُّر اليوناني القديم والروماني، بالتصور الذي لايرتبط بلغتنا وتاريخنا وديننا، دون أن يشعروا بالتناقض الذي يقعون فيه. فحتى اليوم لم يتفق أدباء العربية على تعريف محدَّد «للملحمة» في اللغة العربية، ولم يتوافر بذلك ميزان يقرِّر بشكل نهائيٍ الخطأ والصواب.

وكلمة «الملحمة» كلمة عربية يجب أن تأخذ مدلولها من اللغة العربية ومن تاريخ الأمة المسلمة، ومن دينها ومعتقدها، دون أن تخضع لتبعية اليونان أو الرومان، أو الشرق أو الغرب.

ففي معجم «الصحاح» نجد معنى «الملحمة»: «الوقعة العظيمة في الفتنة». وفي «لسان العرب»: «الملحمة: الحرب ذات القتل الشديد. وفي قولهم نبي الملحمة قولان: أحدهما نبيُّ القتال كقوله في الحديث الآخر «**بعثتُ بالسيف**». والثاني نبيُّ الصلاح وتأليف الناس، كأن يؤلِّف أمر الأمة. وقد تحتم الأمر إذا أحكمه وأصلحه. وألْحَمْتُ القومَ إذا قتلتهم حتى صاروا لحماً. والملحمة أيضاً: موضع القتال. وقال ابن

الأعرابي: الملحمة حيث يقاطعون لحومهم بالسيوف».

وفي الحديث الشريف عن فتح مكة: «. . . . . . . **فقال سعد بن عبادة يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة. . . .**»[1].

وإنا لنجد في بعض كتب الحديث باباً اسمه: «كتاب الملاحم» كما في سنن أبي داود. وفيه عن جُبير بن نُفَير عن الهدنة قال جبير: «. . . . . **فعندئذ تغدرُ الروم وتجمع للملحمة**»[2].

وعن معاذ بن جبل قال، قال رسول الله ﷺ: «عُمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال». ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه أو منكبه ثم قال: إن هذا لحق كما أنك هاهنا أو كما أنك قاعد، يعني معاذ بن جبل»[3].

وعن معاذ بن جبل قال، قال رسول الله ﷺ: «الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر»[4]. **وعن عبدالله بن بُسر أن رسول الله ﷺ قال: «بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين ويخرج المسيح الدجال في السابعة»**[5].

فهذه أحاديث رسول الله ﷺ تحمل كلمة الملحمة لتدلَّ على وقائع في تاريخ الأمة المسلمة، ولتدلَّ على جميع المعاني التي حملتها لنا المعاجم، بعيداً عن معاني أساطير اليونان وظلالها.

فمن هذا الزاد يجب أن ينبثق تصوُّر الملحمة في الأدب، لا من التصور اليوناني الوثني، ومن طبيعة اللغة العربية لا من طبيعة اللغة اليونانية، ومن طبيعة الشعر العربي لا من طبيعة الشعر اليوناني، ومن تاريخ الأمة المسلمة لا من تاريخ الوثنية اليونانية. لذلك لابد من أن يصبح للملحمة في الأدب الإسلاميّ معنى محدد واضح، يخدم مهمة الدعوة الإسلامية، ويشارك في تحقيق أهدافها.

من أجل ذلك قدمت في كتابي «الأدب الإسلامي إنسانيَّته وعالميَّته» اقتراحاً حول تعريف الملحمة الشعرية في الأدب الإسلامي، ليكون هذا الاقتراح منطلقاً لبناء

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المغازي (٦٤)، باب (٤٨). (٢، ٣، ٤، ٥) سنن أبي داود: كتاب الملاحم (٣١). أبواب (٢، ٣، ٤، ٥)، أحاديث: ٤٢٩٢، ٤٢٩٤، ٤٢٩٥، ٤٢٩٦.

تعريف محدَّدٍ يتفق عليه الأُدباء المسلمون ورجال اللغة العربية. وأَساس هذا التعريف الذي قدمته هو طبيعة اللغة العربية وخصائص شعرها، ومعني الملحمة في المعاجم وفي أَحاديث رسول الله ﷺ، وليساهم هذا التعريف في تشجيع الأُدباء والشعراء المسلمين على معالجة قضايا الأُمة المسلمة في ماضيها وحاضرها. وأَتبعت هذا التعريف بصورة تطبيقية من الملاحم التي ذكرتها في أَول هذه الكلمة، ومن بينها هذه الملحمة، «ملحمة الجهاد الأَفغاني»[1].

وقد جعلت مع كل «ملحمة» فصْلاً من النثر أَو أَكثر، أُقدّم فيه صورة موجزة عن ميدان الملحمة وتاريخه، وعلاقته بالإِسلام وارتباطه بالأُمة المسلمة، حتى يَسْهل على الشاب المسلم أَن يعرف تاريخ أُمته وشعوبها، بعد أَن مزَّقها الأَعداء، حتى نسي المسلمون بعضهم بعضاً، وحتى بهتت الوشائج أَو تقطعت وطويت.

وقبل سنوات قليلة لم تكن تجد إِلا القليل من أَبناء البلاد العربية ممن يعرفُ أَفغانستان وتاريخها، أَو الهند وتاريخها، أَو باكستان وتاريخها. فوجب إِذن أَن يساهم الأَدب الإِسلامي مساهمة قوية في تعريف الشعوب الإِسلامية بعضها ببعض، وإِعادة بناء الوشائج، وتوثيق الصلات والرّوابط، لتعود أُمّة الإِسلام أُمة واحدة.

فإِن لم يجد رجل الأَدب آلاف الأَبيات في هذه الملحمة أَو غيرها، فعسى أَن يجد جولة من جولات الملاحم كما يصورها لنا الإِسلام، ووثبة من وثبات الإِيمان، يرضى عنها الله سبحانه وتعالى، أَو يجد نُصحاً أَميناً، وكلمة مخلصة، تُعين على دراسة المشكلات وتجنب العثرات. وعسى أَن يجد ملحمة حقيقية من ملاحم الإِيمان، ملحمة صادقة لا ترسمها كثرة الأَبيات الشعرية أَو قِلّتُها، ولكن يرسمها البيان ليجمع خصائص التصوير والحركة، وخفقة العاطفة وقوة التأثير، يدفع ذلك كله ميدان الجهاد في واقع الأُمة وفي تاريخها.

إِن الشعر أَو النثر لا يصنع الملحمة. إِنهم أَبطال الميدان وجنود الإِيمان هم الذين يصنعون الملاحم في واقع الإِنسان لا في الخيال والوهم، ولا في خرافات الوثنية وضلال الإِلحاد. والشعر يصوِّر ما يصنع أُولئك المبدعون، وتظل عظمة إِبداع الملحمة الشعرية

(١) كتاب الأَدب الإِسلامي إِنسانيته وعالميته للمؤلف (ط ٢). (ص: ١٤١ - ١٤٣).

في صدق كلمتها وعاطفتها، وجمال صورتها وحركتها، ونجاحها في أداء دورها في معركة الإسلام وجولات الإيمان، ونجاحها في تحقيق هدف أو المساهمة في تحقيقه، لا في طولها وعدد أبياتها. وتُجمع جهود المؤمنين كلها لترسم درب الجهاد بالكلمة والبيان، والمدفع والسنان، ثم تخرج بعد ذلك ملحمة من أعظم الملاحم في تاريخ الإنسان، ملحمة تأخذ دورها الأمين في ساحة الإيمان وتاريخ الرسالة، وكذلك تأخذ دورها في الأدب الإسلاميّ بأبياتها الشعرية سواء تجاوزت الألف أو نقصت عنها.

وإني أتساءل، كما قد يتساءل غيري: هل يجب أن تخضع الملحمة الشعرية في ميزان أدب الإسلام إلى آلاف مؤلفة من الأبيات الشعرية، كما يظنّ بعضهم؟! وهل الذي تحتاجه الأمة اليوم في واقعها هو هذا العدد الهائل من الأبيات؟! وهل الأدب الإسـلامي هو حقـاً بحـاجة إلى هذا الحجم الكبير ليحقق أغراضه الفنّيّة والفكريّة والإيمانية؟! وهل اللغة العربية تتطلب ذلك؟

ماهي المسوّغات الفنيّة والأدبيّة التي تستدعي أن تكون «الملحمة» الشعرية في أدبنا على هذا القدر من الحجم، حتى نلزم أنفسنا به؟ وما هي بواعثه وحوافزه؟

أخشى أن تكون القضية كلها قضية نفسية لا علاقة لها بحاجتنا الواقعية أو الأدبية أو الفنية! إن استعمال «الملحمة» في أدبنا جاء ترجمة لكلمة «Epic» الإنجليزية، أو «Epikos» اليونانية، ومعنى هذه أو تلك: قصة شعرية تدور حول بطولات ومعجزات خرافية وهمية، أو حول بطولات تاريخية يصوغها الشعر ويلبسها الخرافة والوهم. وهذه البطولات والخرافات والأوهام تنطلق من وثنية واضحة، حيث تشترك آلهة اليونان في الحرب والعشق والغضب والرضا، تشترك الآلهة في هذا كله مع البشر، ويدور الصراع والمكـائـد. وأشهـر الأسـاطـير الشعـرية هذه عنـد اليونان: «الإلياذة» و«الأوديسا» لهوميروس، و«الإنيادة» عند الرومان لفرجيل. هذا هو معنى كلمة «Epic»، وهذه هي ظلالها! فكيف جازت ترجمتها إلى «الملحمة». فلنقارن:

الملحمة في لغتنا وديننا غير مرتبطة بالشعر، وكلمة «Epic» مرتبطة به.

الملحمة ترتبط بواقع وحق وصدق، و «Epic» ترتبط بالوهم والخرافة.

الملحمة ترتبط بالنبّوة، و «Epic» ترتبط بالوثنية والكفر.

الملحمـة ترتبط بالقتـل الشديد والمعركة والالتحام، و «Epic» تنقلها الخرافة إلى العشق والكيد والمؤامرات.

شتان بين كلمة «الملحمة» وكلمة «Epic» ، حتى لا يكاد يكون بينهما أي ارتباط. و«الأسطورة الشعرية» ترجمة أدق وأعدل. ولكن كلمة «الملحمة» درجت على الألسنة دون أن تحمل معناها من لغتنا وديننا وتاريخنا، ولكنها حملت كل ظلال كلمة «Epic» من قصة وشعر، وأهم من ذلك كله: الطول، حتى كأن كلمة «ملحمة» أصبحت تعني في أذهان الناس القصيدة الطويلة جداً، وأصبحت إيحاءاتها تشير إلى الطول والحجم. ولا شك أن الدراسة الجامعية في كثير من البلاد الإسلامية أسهمت بمناهجها في إعطاء هذا المعنى وهـذه الظلال، حتى إذا استخدم أحد الناس اليوم كلمة «الملحمة» كما تستخدمها المعاجم، وكما استخدمتها النبوّة، فزعنا من ذلك وعجبنا له، وقلنا كيف نسمي «ملحمـة القسطنطينية» ملحمة وهي لم تبلغ الآلاف من الأبيات الشعرية؟! كيف نسمي «ملحمة الجهاد الأفغاني»، كيف نسمي «ملحمة فلسطين»، كيف نسمي «ملحمة الغرباء»، كيف نسمي هذه كلها «بالملاحم»؟!.

عجباً لما يقولون، والرسول ﷺ سمى فتح القسطنطينية الملحمة الكبرى! وسمى فلسطين أرض رباط، وأرض جهاد، وأرض قتال شديد! إنها أرض الملحمة والملاحم!

من المؤسف حقاً أن يُصبح استخدام كلمة عربيّة في معناها الحقيقي، وظلالها الحقيقية مثـار دهشـة وتسـاؤل، وتعجُّب واستنكـار، كأننا نغضب إذا فقدت كلمة «الملحمـة» ظلالها المستوردة الدخيلة، ظلالها اليونانية الخرافية الوثنية، الظلال التي يحملها طول وحجم!.

إني أقدّم هذه الملحمة، «ملحمة الجهاد الأفغاني»، لتمثل جهداً متواضعاً، يعبرّ عن المعنى الإيماني للملحمة الإسلامية، المعنى الذي يمثله الموضوع أكثر من الطول، والأسلوب أكثـر من الحجم، والحـاجـة القائمة في واقعنا وفي أدبنا، ولتكون أساساً لانطلاقة أكبر في نموّ الملحمة الإسلامية وتطوّرها.

لقد عالجت على مثل هذا النحو معظم قضايا العالم الإسلامي في عصرنا الحديث، لنقدّم من خلال الأدب ما نحتاجه حقيقة، وما يعرّف المسلم بقضاياه، وما يربطها

بدينه وعقيدته! عرضتُ: قضية لبنان، سقوط الخلافه «ملحمة التاريخ، أو دويّ التاريخ»، قضية فلسطين، قضية أفغانستان، قضية الغربة واللجوء، فتح القسطنطينية، واقع العالم الإسلامي (لم يبق في عرفات إلا دمعة)، وقضايا أخرى، كل قضية منها تمثّل ملحمة حقيقية في واقعنا.

ولقد تلقيت من عدد غير قليل من القراء من أقطار متعددة في العالم الإسلامي، ما يطمئن إلى أني بلغتُ شيئاً من الغاية، وإلى أن الملحمة أوصلت ما تريد أن توصله! وأثبتْت أن الأدب الإسلامي استطاع أن يساهم ولو بقسط في معركة الأمة المسلمة وملاحمها.

هذه الملحمة، ملحمة الجهاد الأفغاني تضمُّ مقدِّمات نثرية بين يدي الشعر، لتعرَّف المسلم على ميدان الملحمة الحقيقية التي لا وهم فيها، ولتعرفه على شعبها، وعلى جذورها التاريخية، مما نعتقد أنه غاب عن حياتنا الإسلامية زمناً طويلاً، ومما نعتقد أنه لم يعد للشاب المسلم غناء عنه أبداً، وهو يمضي في ميادين الجهاد، ميادين الدعوة الإسلامية.

وتضمُّ الملحمة أربع قصائد تتابع مراحل الجهاد الأفغاني حتى هذه اللحظات. والقصيدتان الطويلتان مقسَّمتّان إلى عناوين جانبية لتسَهِّل على القارىء الكريم ربط الموضوع، ليكون أيسر عليه وأقرب إليه.

وإني أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبّل عملنا نقيّاً منَ شوائب الدنيا، غنيّاً بطاعة الله، قويّاً بكلمة الصدق والحق، خالصاً لوجهه الكريم.

والحمد لله ربِّ العالمين، ربِّ السموات والأرض ورب العرش العظيم، أستغفره وأتوب إليه في خشوع وإنابة وخشية، وأسأله العفو والعافية والجنّة، هو ربي وهو مولاي، لا إله إلا هو، نعم المولى ونعم النصير!

د. عدنان علي رضا النحوي

الرياض: ١/ ٩/ ١٤١٠هـ
٢٧/ ٤/ ١٩٩٠م

مقدمة الطبعة الأولى

دعيت إلى ندوة شعرية في مدينة فرانكفورت في ألمانيا الاتحادية يوم السبت في ٣/٢/١٤٠٨هـ الموافق ٢٦/٩/١٩٨٧م. شاركت فيها بقصيدة شعرية عن جهاد افغانستان وأسميتها «ملحمة الجهاد الأفغاني».

ولقد رأيت أن أُخرج ذلك على شكل كتاب مشاركة بسيطة في الباب الإعلامي لجهاد أفغانستان المسلمة. ووجدت أنه لا بد من إضافةِ موجزٍ لتاريخ هذا البلد المسلم، يعرض أهم الملامح التي يحتاج المسلم اليوم أن يعرفها عن بلد من بلاده، وقطر من أقطاره.

ولا شك أن مما نعانيه اليوم هو جهلنا بواقعنا، هو جهل المسلمين بحقيقة أوضاعهم، وهم بذلك يجهلون أوضاع جيرانهم المسلمين، ويجهلون تاريخ معظم البلاد الإسلامية، خاصة بعد أن أخذت النزعة القومية تحتلّ في النفوس مكاناً، وفي الواقع قوة وسلطاناً.

وكانت الديار بلداً واحداً والشعوب أمة واحدة، بعد أن دخلها الإسلام فوحَّد أرضها، ووحَّد قلوبها. ولكن الحرب التي لم تهدأ مزّقت الديار والعباد، حين تفلّت الكثيرون من حبل الإيمان. وحين غلب الهوى، وثارت الشهوة، وعجّت الفتنة بسوادها وليلها، عند ذلك وجد العدو المتربّص فرصته، فانسل انسلالا، أو دخل جهاراً، أو انقض انقضاضاً.

وحين يترك المسلمون الجهاد في سبيل الله، تأخذهم الذلة، ويغلبهم الهوان، وتتهافت عليهم الأمم كتهافت الأكلة على قصعتها. ولقد سبقت كلمة الله لعباده المؤمنين، وصدق وعده في نصرهم وعزهم، إذا هم صدقوا الله ونصروه، وأوفوا بما عاهدوا الله عليه:

﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعناوأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور﴾. (المائدة: ٥)

وإنا نُذَكِّر أنفسنَا أولًا، ونذكِّر بعد ذلك سائر المسلمين، ونحن نبتهل إلى الله على خشية وتضرع أن يثّبت القلوب على الإيمان، ويجمعها على التوحيد، في ميادين الجهاد والصدق والوفاء. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

د. عدنان علي رضا النحوي

الرياض: ١١/٢/١٤٠٨هـ
٤/١٠/١٩٨٧م

الباب الأول

ملامح في تاريخ أفغانستان

تمهيد

أفغانستان اليوم بوّابة العالم الإسلامي في آسيا، بوّابة الشرق، تقف برجالها المؤمنين الأشداء، وجبالها العالية المترامية، حصناً يدفع غائلة الغزاة عن ذلك الجزء من العالم الإسلامي الذي يقع إلى الشرق منها. ولقد كانت كذلك عبر التاريخ، فلا بُدّ للزحوف أن تنفذ منها إن استطاعت، حتى تقفز إلى ما وراءَها.

جهاد أفغانستان صحوة حقيقية عملية في عالم إسلاميٍّ غافٍ، وردٌ إيمانيٌّ جليٌّ صادقٌ على عدوانٍ ظالم، واستعمارٍ غدّارٍ، ونهمةِ وحوشٍ، وعواءِ ذئابٍ مدّتْ أنياباً ومخالب.

لقد تقلّب الحال في أفغانستان منذ صباح الثلاثاء ١٧ جمادى الآخرة ١٣٩٣هـ، (٢٧ تموز ١٩٧٣م) بانقلاب الجنرال محمد داود خان على الملك ظاهر شاه، بعد أن عاد الملك من زيارته لروما. ومحمد داود هو ابن عم الملك وزوج أُخته. فأعلن محمد داود الجمهورية وإلغاء الملكية، واعتقل المئات من علماء المسلمين وقتل الكثيرين، وأغلق مركز البحوث الإسلامية بالجامعة، وأباح السفور والاختلاط، ومنع الصحف والمجلات الإسلامية، وسنّ القوانين التي تحمي الشيوعية وتحرّم مهاجمتها.

لقد كان انقلاب محمد داود بداية لسلسلة من الانقلابات والمآسي التي انتهت بالجهاد الأفغاني الحالّي.

ففي ١٦ من شهر جمادى الأولى ١٣٧٨هـ (٢٧ نيسان ١٩٧٨م) قام انقلاب آخر أطاح بمحمد داود، بقيادة الجنرال الشيوعي عبد القادر الذي سلّم السلطة إلى زعيم حزب خلق محمد تراقي، وبدأ التسلل السوفيتي يتسع ويمتدُ على شكل خبراء ومستشارين، واشتدت الحرب ضد الإسلام والمسلمين.

ثم تلا ذلك انقلاب آخر يقوده حفيظ الله أمين في ٢٢ شوال ١٣٩٩هـ (١٦ أيلول ١٩٧٩) حين قُتل رئيس الجمهورية محمد تراقي مع أفراد عائلته. وزحف الجيش السوفياتي بعد ذلك بشهرين ونصف تقريباً بعدده وعدّته، وجنوده ودباباته، وحملت الدبابات السوفياتية «بابراك كارمل» زعيم حزب «برشام» الشيوعي ليصبح رئيساً

للجمهورية، بعد أن تمّ اعتقال رئيس الجمهورية حفيظ الله أمين، وبعد أن تم قتله في اليوم التالي لاعتقاله. وتعلل الاتحاد السوفيتي بأن جيشه دخل أفغانستان بناءً على طلب رئيس الجمهورية. وبدأ الإرهاب السوفيتي، ليجابهه الشعب الأفغاني المسلم، وهو في حالة لم يستعد بعد لمجابهة مثل هذه الأحداث السريعة، وقلوب ملايين المسلمين في الأرض مشدودة إلى هناك تدعو الله أن يجمع الكلمة ويوثق العرى على كلمة التقوى، ليمضي الشعب الأفغاني المسلم صفاً واحداً.

﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾.

(الصف: ٤)

وانتفض الجهاد الأفغاني على نداء: الله أكبر، إلى نصر مؤزر من عند الله، إن شاء الله.

الفصــل الأول

موقع أفغانستان وسكانها

١ ـ موقـع أفغانســتان :

ونحن نقدم هذه الملحمة الشعرية عن أفغانستان وجهادها الإسلامي نحتاج إلى أن نعرض موجزاً سريعاً عن البلاد وسكانها وتاريخها. ذلك لأن كثيراً من المسلمين في الأرض لا يعرف ديار الإسلام، ولا يعرف واقع المسلمين. وكان لمثل هذا الجهل أثر خطير في حياة المسلمين، أثر سهَّلَ للأعداء التسلل في الظلام، ونشر الفتنة والشقاق، ونهب الخيرات والثروات، واستباحة الأعراض والحرمات. وأما عدونا فهو يعرف أرضنا وشعوبنا ويجري دراسات ويضع خططاً.

لم تكن أفغانستان التي نعرفها اليوم معروفة بحدودها الحالية في الزمن القديم. ولذلك فنحن ندرسها من خلال تاريخ منطقة واسعة تمتد من العراق إلى عمق القارة الهندية. وحدودها الحالية لم تثبتْ إلا مع بداية القرن التاسع عشر. ولقد شهدت هذه المنطقة أحداثاً خطيرة، ذلك لموقعها المتوسط في قلب العالم القديم. لقد قامت إمبراطوريات وحضارات. وسقطت إمبراطوريات وحضارات. وكانت دائماً ـ كما هي اليوم ـ ميدان صراع وتنافس بين القوى الكبرى في كل عصر. وبالإضافة لموقعها فإن طبيعة البلاد بجبالها الشاهقة ـ مثل سلسلة جبال «هندوكوش»، وجبال سليمان، وكذلك بوديانها السحيقة الإجبارية ـ مثل ممر «فاخان» في جبال هندوكوش، وممر خِيبر بينها وبين باكستان، وغير ذلك من القمم الشاهقة والوديان السحيقة، كانت دائماً سدّاً منيعاً وحصناً حصيناً. أفغانستان تحدّها شمالاً الجمهوريات الإسلامية السوفياتية على حدود تبلغ (١٢٠٠كلم) تقريباً. وتحدّها من الجنوب والشرق باكستان، ومن الغرب إيران. وتبلغ مساحتها بحدود (٦٥٠,٠٠٠) كيلو متراً مربعاً. ويزيد سكانها على تسعة عشر مليون نسمة، نسبة المسلمين منهم ٩٩٪.

٢ ـ سكان أفغانســتان :

أما سكان أفغانستان فهم من شعوب وأجناس مختلفة تمازجت مع التاريخ

لتكون الشعب الأفغاني اليوم. وأهم هذه الشعوب:

(أ) **الباشتو أو البوشتن**: يشكلون ٦٠٪ من السكان، وهم مزيج من العناصر التركية والإيرانية.

(ب) **الطاجيك أو التادجيك**: يشكلون ٣٠٪ من السكان، وهم من عنصر إيراني.

(جـ) **الأتــراك**: ويشكلون ٥٪ من السكان، وهم امتداد لسكان تركستان الغربية ومنهم الأوزبك والتركمان.

(د) **الهازراس أو الهزارة**: وهم من أصل مغولي ويشكلون ٣٪ تقريباً من السكان.

(هـ) **البالـوخ**: ويعتقد أنهم من أصل عربي ويمتدون إلى باكستان وإلى إقليم بلوخستان.

(و) **النورستانيون أو الكافير**: وقد كانوا وثنيين ولذلك سموا بالكافير. ثم اعتنقوا الإسلام زمن عبد الرحمن خان في القرن التاسع عشر، وهو الذي أطلق عليهم «النورستانيون» أي أهل بلاد النور.

(ز) **أقليــات من الهنــود والصينيين.**

(ح) **جماعات أُخرى**: الكهار والآيماق وهي تتشكل من أربع قبائل هي: فيروز، كوهيز، تايماني، الجمشيد.

ولقد مرت على هذه المنطقة في تاريخها الطويل شعوب مختلفة وحملت إليها حضارات متباينة، وتعتبر أفغانستان مهد الآريين الذين هاجروا إليها من تركستان الغربية قبل القرن السادس قبل الميلاد، وأقاموا بها دولة «باكتيريا» عاصمتها «بلخ». وكانت تسمى البلاد لذلك «آريانا». وامتدت الهجرات إلى الهند وبلاد فارس والعراق، وانتقلت الديانة الهندوكية إلى الهند من أفغانستان. وكان يطلق على القسم الشمالي من البلاد «خُراسان» ومعناها «أرض الشمس». كما مرت شعوب أخرى أهمها «اليونانيون» و «العرب» و «الترك» و «المغول».

والشعب الأفغـاني شعب قوي مقاتل، يكره الذل ويأبى الضيم. وقد وصفهم بعض المؤرخين بأن لهم وجوهاً من الصخر، وقلوب أسود، وعيون صقور، وسيقان فهود. ولقد أثبت تاريخه عظمة بطولاته وعناد قتاله. وجاء الإسلام فجعل من ذلك قوة عظيمة تحمي الديار والأعراض وتصد الغزاة المعتدين، وتخرج العلماء الأفذاذ، والأبطال المجاهدين.

الفصل الثاني

القوى التي حكمت أفغانستان

١ ـ حتى بداية الفتح الإسلامي:

ولدراسة تاريخ أفغانستان لابد من أن نعود إلى عصور غابرة، قامت فيها حكومات ودول، وانقرضت حكومات ودول. ونعرض فيما يلي موجزاً لأهم ذلك مبتدئين من القرن السادس قبل الميلاد.

(أ) الحكم الإخميني:

دخل الإخمينيون من فارس إلى بلاد الأفغان فأصبحت ولاية تابعة للامبراطورية التي أقامها كورش الأول (٥٦٦ ق.م. ـ ٥٣٠ ق.م.)، والتي امتدت من بابل في العراق حتى مدينة قندهار الحالية، وإلى حدود باكستان اليوم. واصطدم الإخمينيون مع اليونان أثناء امتدادهم وتوسعهم إلى الغرب. ومن أهم الحكام لهذه الإمبراطورية بعد كورش ابنه قمبيز، ثم دارا الكبير.

(ب) حكم إسكندر المقدوني:

قام الاسكندر المقدوني بعد تولي الحكم خلفاً لوالده فيليب ملك مقدونيا، بحملة ينتقم بها من الإخمينين. فانتصر الاسكندر عليهم في مواقع حاسمة ووقعت بلاد فارس كلها وولاياتها في يده بموت دارا الثالث وانتصار الاسكندر بحدود سنة ٥٧٠ ق.م. على الإخمينين. وبعد موت الاسكندر تمزقت البلاد إلى قطع يحكم كل قطعة قائد من قواده. ومن المدن المعروفة حالياً والتي أقامها الاسكندر: «قندهار» و«هراي». واستمر حكم اليونان بحدود قرنين من الزمن بعد الاسكندر.

(جـ) الإمبراطورية الكوشانية:

مع نهاية القرن الثاني قبل الميلاد تعرضت أفغانستان لغزو بربري من قبائل متعددة، وكان من أهمها قبيلة الكوشان التي أقامت الامبراطورية الكوشانية، فامتدت إلى داخل الهند وحتى الحدود الصينية، وذلك مع بداية القرن الأول بعد الميلاد. وانتشرت في هذه الفترة الوثنية البوذية، ثم ضعفت

الامبراطورية الكوشانية، وتمزقت بعد أن استقل أفراد العائلة المالكة كل منهم في مقاطعة. وتعرضت كذلك إلى غزوات من الشمال، كان من بينها قبائل تركية تركت بلادها الأصلية تحت ضغط الصين. وحكمت هذه القبائل التركية بلاد الأفغان باتفاقات مع الملك الساساني في فارس. وامتد هذا الحال حتى الفتح الإسلامي.

(د) الحكم الساساني:

ظهر الساسانيون خلال القرن الرابع للميلاد قادمين من منطقة إيران. ودارت حروب بين الساسانيين وبين المقاطعات التي ظهرت على أثر انهيار الكوشان. وعندما قويت الدولة الساسانية في فارس، ظل في بلاد الأفغان أُمراء يحكمون البلاد باسم الساسانيين. وامتد نفوذ الساسانيين إلى أفغانستان في زمن كسرى أنوشروان الساساني، والدولة الساسانية اصطدمت بالرومان في الغرب ودارت بينهم حروب كثيرة، حتى جاء الإسلام فحطّم هاتين الامبراطوريتين، ونشر نوره شرقاً وغرباً في مسيرة إيمانيّة ودعوة ربّانية ممتدة إلى يوم القيامة في الأرض كلها.

٢ ـ الفتح الإسلامي:

(أ) بدؤه وطبيعته:

لقد امتد الفتح الإسلامي إلى هذه المنطقة في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد تقرر مصير المنطقة كلها في معركتين فاصلتين:

الأُولى هي معركة القادسيّة في السنة ١٤هـ (٦٣٦م) بقيادة الصحابي الجليل سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه. وقد قُتِلَ قائد الفرس «رستم» في هذه المعركة، وهُزِمَ يزدجرد ملكهم وفرَّ، ودخل المسلمون «المدائن».

والمعركة الثانية هي معركة «نهاوند»، سنة ٢١هـ (٦٤٣م). وكان قائدها البطل المسلم النعمان بن مُقَرِّن أحد رؤوس قبيلة مُزينة، واستُشهد في هذه المعركة بعد أن سجّل نصراً عبقرياً. وكان في المعركة القعقاع بن عمرو التميمي، وحذيفة بن اليمان، وغيرهما من أبطال الصحابة رضي الله عنهم. وسمّى المسلمون هذه المعركة العظيمة «فتح الفتوح».

بعد هذه المعركة الفاصلة عقد الخليفة عمر بن الخطاب سبعة ألوية لسبعة من القادة أَمَرهمْ أن يَسيحوا فيما كان يسمى أرض فارس. وكان من بين هذه الألوية لواء عقده للأحنف بن قيس التميمي، فأمره أن يتوجه إلى خراسان. ففتح الله على يديه: هراة، ومرو الشاهجان، ومرو الروذ، وبلخ، وبعث من قادته وجنده من فتح نيسابور وسرخس.

ولـواء آخـر عقـده عمـر بن الخطاب لعاصم بن عمرو التميمي، ووجّهه نحو ساجستان. وساجستان تشمل ما يعرف اليوم بمنطقتي راجستان وسيستان وقسم منها في إيران. ومن مدنها «قندهار» و «زرنج».

وامتدت الفتوح، ففتح سويد بن مقرِّن المزني «طبرستان». ولم يتقدم المسلمون أكثر من ذلك زمن الخليفة عمر بن الخطاب. ولكنهم تابعوا الدعوة ونشر الإسلام أيام عثمان بن عفان رضـي الله عنه، حتى وصلوا كابل ولم يدخلوها.

وكـان بعض هذه المنـاطق ينقض عهده مع المسلمين، فيعاود المسلمون فتحها ثانية. فقد نقضت خراسان عهدها فعاد إليهم الأحنف بن قيس وأعاد فتحها. وأعاد منطقة «هراة» أوس بن ثعلبة عام ٣٢هـ، وأغار عبد الرحمن بن محمد على مدينة كابل زمن الخليفة عبدالملك بن مروان، وأعاد قتيبة بن مسلم الباهلي فتح مدينة «بلخ» عام (٨٦هـ)، وغزا العباسيون المنطقة عدة مرات، ولكن المسلمين استقروا في المنطقة، واستقـرّ فيهـا الإسـلام في منتصف القـرن الثـاني للهجـرة. وكان من أهم أسباب الانتفـاضـات هو الخـلافـات بين المسلمـين، واضطرابات الحكم لفترة غير قليلة، والخلافات بين الأمويين والعباسيين، وفي عصور لاحقة الصراع بين الأمين والمأمون.

ولقد دخل الإسلام هذه الديار يحمله الدعاة المجاهدون من أصحاب رسول الله ﷺ، يدعون الناس ويجمعونهم على كلمة سواء، كلمة لا إله إلاّ الله ومحمد رسول الله، وعلى مَحَجَّةٍ بيضاء ليلها كنهارها، وعلى عدل أمين، واستقامة طاهرة.

ولكن لما بدأت العصبية تذرّ قرنها، دارت الفتنة بعد الفتنة، وقامت دولة بعد دولة تحملها العصبيات. وسيظل هذا الأمر من عصبية جاهلية هو العامل الرئيسي في تمزق المسلمين. ولا مخرج من ذلك أبداً إلا بالصدق في الإيمان والتوحيد، وإخلاص الولاء

لله سبحانه وتعالى على علم ونور من منهاج الله، والتبرؤ من الشرك كله، براءة صادقة يُثْبِتُها التطبيق والممارسة في واقع الحياة، والتبرّؤ من العصبيات الجاهلية كلها مهما اختلفت راياتها وشعاراتها:

﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾. (آل عمران: ١٠٥)

﴿إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئّهم بما كانوا يفعلون﴾. (الأنعام: ١٥٩)

ولقد دفع المسلمون في تاريخهم الطويل ثمناً غالياً رهيباً نتيجة الخلاف والفرقة التي نهى الله عنها. لقد دفعوا الثمن أعراضاً استبيحت، وأموالاً انتهبت، وديارا سقطت، وضحايا أُزهقت. ولكنّ الهوان والذلة كان أعظم من الأموال مصاباً، وأدهى من فقد الديار شرّاً.

وفي حديث رسول الله ﷺ:

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها. وإنّ أمّتي سيبلغ منها ما زُوِيَ لي منها. وأُعطيتُ الكنزين الأحمر والأصفر. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يُهلكها بِسَنَةٍ[1] عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال لي: إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يُرَدُّ. وإني أعطيتُك لأمتك أن لا أُهلكهم بِسَنَةٍ عامة، وأن لا أُسلط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم مَنْ بأقطارها، أو قال مَنْ بين أقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً».

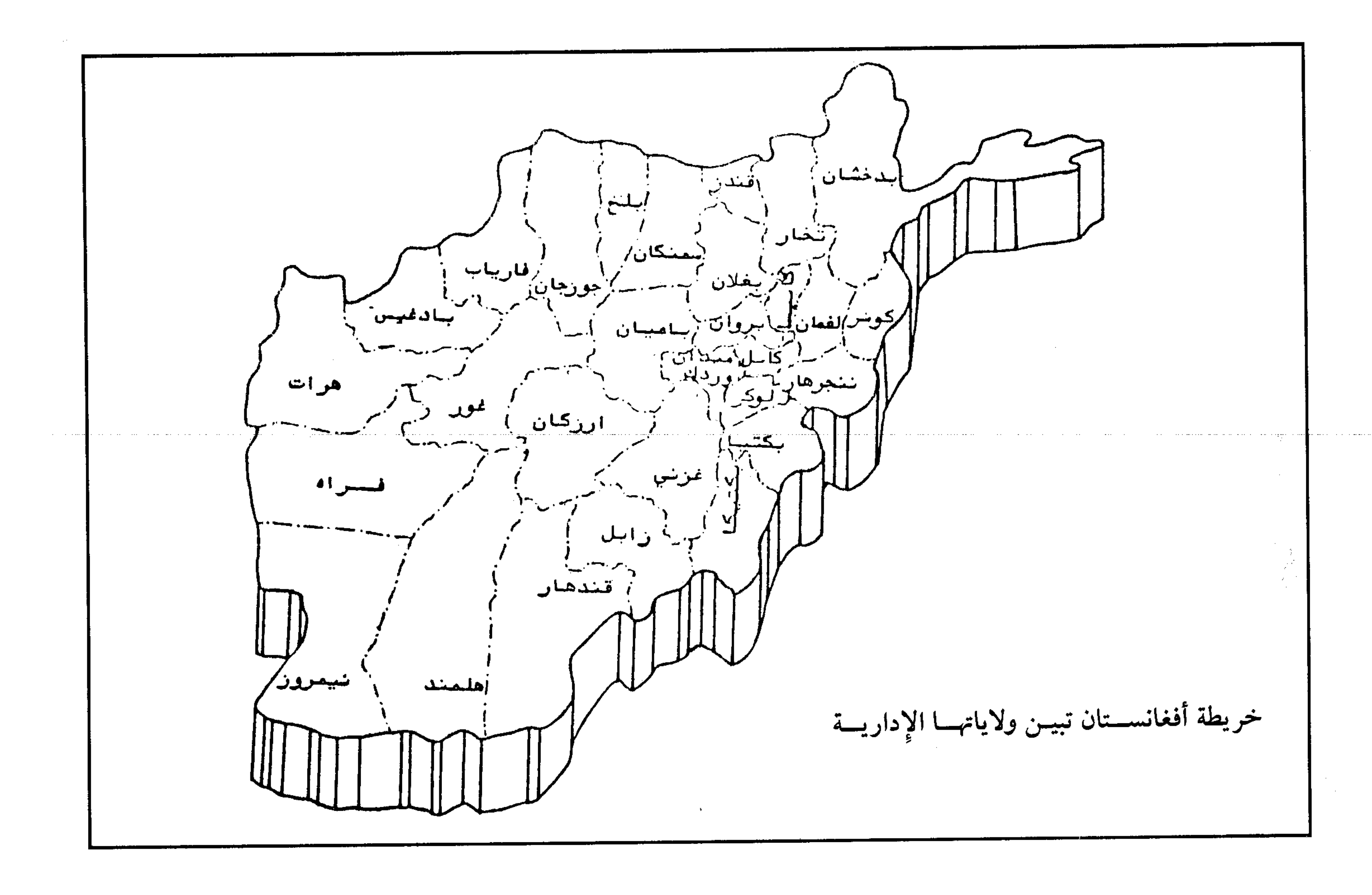
(أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح)[2]

صدق رسول الله ﷺ. فالعدوُّ الخارجيّ لن يجد منفذاً إلى أُمة الإسلام أبداً ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى تقع الفرقة والشقاق، وتدبُّ الفتنة ويموج الهوى، فيصبح بعض المسلمين حرباً على بعض، فينفذ العدو....!

---

(١) سَنة: الجدب والقحط.

(٢) سنن الترمذي: كتاب الفتن (٣٤). باب (١٤). حديث (٢١٧٥).



خريطة أفغانستان تبين ولاياتها الإدارية

ونتيجة لهذه العصبيات قامت دول تحكم باسم الخليفة في بغداد، مع قوة في العلاقة أو ضعف. ثم تنهار هذه الدولة لتقوم دولة أخرى وعصبية جديدة. ونعرض في ما يلي إلى أهم هذه الدول:

(ب) الدول التي قامت:

١ - **الدولة الطاهرية**: أقامها طاهر بن الحسين قائد هارون الرشيد، في مرو ونيسابور. وضمت هذه الدولة خُراسان وهراة وبلخ. واستمرت حتى عام ٢٥٩هـ (٨٧٢م).

٢ - **الدولة الصُّفَّارية**: أقامها يعقوب بن الليث، الذي كان يعمل في النحاس وهو الصفر، ومن هنا جاءت التسمية. وقد استطاع يعقوب بن الليث أن يخرج أبناء طاهر بن الحسين من نيسابور ويمد دولته إلى بلاد الأفغان، ويحتل «غـزنة» و «كابل» ويتجه إلى العراق. ومن أسباب ظهور هذه الدولة وقوة يعقـوب بن الليث الحروب الأهلية بين المسلمين، وبين الأمين والمأمون. واستمرت هذه الدولة حتى ٢٩٦هـ (٩٠٨م).

٣ - **الدولة السامانية**: وسميت بذلك نسبة إلى مدينة «سامان» قرب مدينة «بلخ». وامتدت إلى حدود «بخارى» و«سمرقند»، وجعلت عاصمتها مدينة «بلخ». وكانت على علاقة حسنة مع الخلافة في بغداد، بعكس ما كانت عليه الدولة الصفّارية. وقد أقام هذه الدولة أحمد بن أسد والي العباسيين على بلاد ما وراء النهر[1]. واستقل ابنه «نصر» في بخارى، وامتد سلطان هذه الدولة إلى بلاد الأفغان. واستمرت حتى عام ٣٨٤هـ (٩٩٤م).

٤ - **الدولة الغزنوية**: واستمر حال الخلافة العباسيّة على هذا الضعف، لتقوم دولة بعد دولة. وجاءت الدولة الغزنوية بعد الدولة السامانية. وكانت بداية

---

(١) بلاد ماوراء النهر تعبير أطلقه المسلمون على البلاد التي تقع وراء نهر «جيحون» في الشمال ويشكل الحدود الطبيعية بين أفغانستان وتركستان التي [illegible] اليوم الاتحاد السوفيتي. وينبع من هضبة بامير وتغذيه ثلوج بامير وهندكوش وتركستان، ويصب في بحيرة خوارزم (بحر آرال)، ويبلغ طوله (٢٢٤٠٠) كلم. ومن المدن الشهيرة على هذا النهر مدينة «ترمذ» التي أخرجت الإمام الترمذي.

أمرهم سنة ٩٣٤م عندما فرّ الغلام «بكتين»، أحد غلمان منصور الساماني، إلى مدينة غزنة في أفغانستان، وطرد أميرها وحكمها. وتولى الحكم فيها غلام بعد غلام، إلا أن جاء «محمود بن سبكتكين»، الذي امتد طموحه خارج «غزنة»، فغزا الهند في غزوات متلاحقة تبلغ خمس عشرة غزوة، ونشر الدين الإسلامي في غزواته. وقد كان مؤمناً مجاهداً داعية إلى الله ورسوله، عالماً بدينه، حتى سماه المؤرخون «السلطان المجاهد». وحشد حوله العلماء والأدباء ومن بينهم أبو الريحان البيروني وبديع الزمان الهمذاني. وتوفي سنة (١٠٣٠م)، وترك امبراطورية واسعة ضمّت: زابلستان وخوارزم وخراسان وطبرستان وأصفهان وكرمان ومكران والسند والبنجاب. واستمرت الدولة الغزنوية حتى عام ٤٢٧هـ (١٠٣٥م).

٥ - **الدولة الغورية**: بعد موت محمود الغزنوي عادت الخلافات بين أبنائه السبعة في حروب طاحنة، فضعفوا أمام السلجوقيين والغوريين. فترك آخر ملوك الغزنويين «خسرو شاه» مدينة غزنة، فاحتلّها الغوريُّون. والغوريُّون أسرة مالكة ظهرت من منطقة «الغور»، وهي مقاطعة في أفغانستان. ويرجع أصلهم إلى التادجيك (الطاجيك). وقويَ نفوذ الغوريين في عهد السلطان معز الدين، ففتح السند وقضى على القرامطة، وحاز جميع ممتلكات الغزنويين ثم فتح دلهي. وانتقل الغوريُّون بعد ذلك إلى الهند في زمن قطب الدين أيبك، وهو أول سلطان على دلهي، وذلك بعد وفاة السلطان محمود الغوري عام ١٢٠٦م.

٦ - **الدولة السلجوقية**: والسلاجقة فرع من الترك الطوقوز، هاجروا جنوباً من سهوب التركستان، واجتازوا ما وراء النهر، حيث اعتنقوا الإسلام وامتدوا إلى بلاد فارس والشام والأناضول، واصطدموا مع البيزنطيين وانتصروا عليهم، وأصبحوا سادة جنوب غرب آسيا، ومركزهم إيران والعراق.

٧ - **الدولة الخوارزمية**: والخوارزميون فرع من الترك. وابتدأ نفوذهم في جنوب بحيرة خوارزم. ثم اتسعت دولتهم على حساب السلاجقة. ولما خرج

الغوريون من بلاد الأفغان إلى الهند سقطت أفغانستان بيد علاء الدين محمود سلطان خوارزم. وكان سلطان خوارزم تابعاً أول الأمر إلى الدولة السلجوقية. فلما انهارت الدولة السلجوقية قامت الدولة الخوارزمية التي امتد سلطانها إلى حدود الصين. وحاول السلطان «علاء الدين محمد بن تكش» (٥٩٦هـ/ ١١٩٩م - ٦١٧هـ/١٢١٩م) مهاجمة بغداد. ولكنه انهزم أمام الزحف المغولي بقيادة جنكيزخان, فدمر جنكيزخان ما يلقاه في طريقه من مدن يزيل فيها كل آثار الحياة من إنسان وحيوان. فدمّر بخارى وسمرقند وطوس ونيسابور وبلخ وباميان وغزنة وهراة وذلك بحدود عامي ٦١٨هـ/ ١٢٢٠م - ٦١٩هـ/١٢٢١م.

٨ - **الدولة المغولية**: قدم جنكيزخان، من غرب الصين واجتاح خوارزم وتركستان. ووصل المغول حتى بحر البلطيق في أوروبا. وأزالوا الدولة العباسية على يد سفاحهم هولاكو. ولكنهم هُزموا أخيراً أمام المماليك، واستقروا في البلاد التي فتحوها، وتأثروا بسكانها فاعتنقوا الإسلام في غربي آسيا.

لما فشل سلطان خوارزم، علاء الدين بن محمد، في مجابهة المغول وردّهم نهض الأفغانيون بعد موت علاء الدين والتفُّوا حول ابنه جلال الدين، وعزموا على محاربة المغول. فهزموا المغول الذين كانوا بقيادة «كوتكونيان». لذلك عاد جنكيزخان الذي كان في «هراة»، وهزم جلال الدين وفتح «باميان» و«غزنة»، وعاد إلى تدمير المدن على كارثة رهيبة، ماتزال آثارها باقية حتى اليوم.

مات جنكيزخان عام ٦٢٥هـ (١٢٢٧م). فتجزأت الامبراطورية بين أولاده، وبدأت أفغانستان تستعيد حياتها حتى طلعت مصيبة جديدة، حين ظهر «تيمورلنك» وتغلب على سائر الأُمراء، وأراد إعادة امبراطورية جنكيزخان. فاتخذ مركزه مدينة بلخ، لينطلق منها إلى أهدافه. فوجه جيوشه نحو الأفغان وأعاد تدميرها. وانطلق بجيوشه نحو الغرب تدميراً وخراباً حتى وصل إلى سوريا.

توفي تيمورلنك عام ٨٠٦هـ (١٤٠٤م). وخلفه ابنه «شاه روخ ميرزا». وكان مثقفاً وذا ذوق أدبي، وجعل عاصمته «هراة». وحكم أربعين سنة دون حروب فازدهرت البلاد. وتابع النهضة ابنه الفلكي المشهور ألغ بك. واستمر ازدهار البلاد وظهر الأدباء والشعراء والرسامون. واستمر حكم أحفاد تيمورلنك حتى عام (٩١٢هـ / ١٥٠٧م).

٩ ـ **دولة الأوزبك**: جماعة من الترك، وكانوا آخر موجة جاءت من السهوب، وحكموا ما وراء النهر، ودانوا بالإسلام، واستمر حكمهم في منطقتهم حتى جاء الاحتلال السوفيتي، وقد ظهروا في بداية القرن السادس عشر تحت حكم «محمد خان الشيباني» الذي دخل «هراة» عام (٩١٢هـ/١٥٠٧م)، وأنهى حكم التيموريين. لقد كانت «كابل» تحت حكم أحد أحفاد جنكيزخان وهو «بابر». فترك بابر بعض المناطق للأوزبك، وركزّ اهتمامه وجهوده نحو الهند. فغزاها غزوات متلاحقة حتى احتل البنجاب عام (٩٣١هـ/١٥٢٦م)، ثم احتل دلهي، وهزم إبراهيم الغوري آخر ملوك الأفغان في الهند. وأقام «بابر» أول امبراطورية مغولية في الهند، وجعل عاصمته مدينة «أكرا» التي اشتهرت لوجود «تاج محل» فيها، وتبعه شرق أفغانستان إلى ما وراء جبال هندوكوش، وضمّ إليه «كابل» كذلك. ومات «بابر» سنة (٩٣٥هـ/ ١٥٣٠م) وحُمِل جثمانه إلى كابل وأُحرق فيها بناء على طلبه. وهنا انسحب ابنه «شير شاه سور» إلى الأفغان مؤقتاً. وأصبحت الأفغان بعد ذلك وفي عهد الأمبراطور المغولي «أكبر» ولاية بعيدة متعبة للامبراطورية المغولية.

١٠ ـ **دولة الصفويين**: لقد أنشأ دولة الصفويين الشاه «إسماعيل الصفوي»، سليل الشيخ صفي الدين الأردبيلي. وقد اصطدموا مع الدولة العثمانية، ودام حكمهم حتى عام (١١٤٩هـ/١٧٣٦م). أما الدولة الأفشارية فقد أسسها طهماسب قولي خان الأفشاري، وانتهت دولتهم عام (١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م) بعد سيطرة «القاجار» على فارس. كما سنعرض بعد قليل.

نجد أن هذه الفترة من حياة أفغانستان تخضع لتأثيرين: دولة المغول في الهند، والدولة الصفوية في فارس. وكانت الدولة المغولية قوية في الهند حتى عهد «أورانك زيب»، الذي توفي عام (١١١٨هـ/١٧٠٧م)، ثم بدأ يضعف نفوذهم. وكذلك بدأت الدولة الصفويّة تضعف في عهد الشاه حسن آخر ملوكهم، الذي حكم من عام (١١١٥هـ/١٦٩٤م) حتى (١١٣٤هـ/١٧٢٢م).

(جـ) التاريخ الحديث لأفغانستان:

تعتبر هذه الفترة فترة تجزئة بالنسبة لأفغانستان. ولكن القبائل الأفغانية احتفظت بدرجة من الاستقلال الذاتي بعيداً عن المعارك والحروب بين الدول آنذاك. وتحركت القبائل في نموها باتجاهين للشرق والغرب. ثم يبرز من بين هذه القبائل، قبائل وأُسر قوية تمدُّ نفوذها وسيطرتها في هذا الاتجاه وذاك، من خلال صراعات دولية حادة تجعل أحياناً من هذه الأرض ساحاً لها. ويستمر ذلك حتى قامت أفغانستان الحديثة ولطبيعة هذه المرحلة المتميزة، نفرد لها فصلاً خاصاً.

الفصل الثالث

أفغانستان الحديثة

١ ـ **الحكم القلزائي**: كان يحكم «قندهار» الحاكم الفارسي «جورجن» من قبل الشاه حسين. فثار في عام (١١٢٠هـ/١٧٠٩م) «مير فايز خان» ضد حاكم قندهار. وكان مير فايز أكبر زعماء قبائل القلزائي، وأعلن استقلاله في قندهار. وفي عام (١١٢٧هـ/١٧١٦م) ثار زعيم قبائل العبدالي، «العبدالله»، في منطقة «هراة»، ضد الحاكم الفارسي أيضاً، واسمه أسد الله خان، فاحتل زعيم العبدالي «هراة» وجعلها مركزاً لإمارته. خلف مير فايز ابنُه «محمد شاه»، فوسّع إمارة أبيه وتوجه إلى فارس، واحتل مدينة أصفهان ومدينة كرمان، وقضى على حكم العائلة الصفوية، وأعلن نفسه شاهاً على فارس. ولما توفي خلفه ابن عمه «أشرف» ليجابه أخطاراً داخلية وخارجية. فمن الشمال كان المد الروسي ومن الغرب الأتراك العثمانيون. فهزم الروس في معركة هامة في بلدة «درينيب» «باب الأبواب»، وأوقف تقدم العثمانيين. أما في الداخل فقد جابه ثورة داخليّة يقودها قاطع الطريق «نادر قولي بك» الذي احتل مدينة طوس، وتوجه نحو مشهد، في طريقه إلى «هراة». ثم هُزِمَ أشرف في معركة «دافعان» عام (١١٤٢هـ/١٧٢٩م)، فانسحب أشرف ثم قُتِلَ من أحد أتباعه في سيستان.

التفّ الأفغانيون حول ذو الفقار خان، زعيم العبدالي، لمجابهة نادر شاه، وساعدهم زعيم القلزائي «زيدل». ودارت الحرب سجالاً حتى حاصر نادر شاه «هراة» حصاراً استسلم أهلها بعده. وأعلن نفسه شاهاً على الفرس باسم نادر شاه عام (١١٤٩هـ/١٧٣٦م). ثم توجه إلى قندهار واصطدم بالمغول واحتل غزنة وكابل. ثم توجه إلى الهند للقضاء على دولة المغول، فالتقى الطرفان في «كارنال»، وانتصر نادر شاه، وفاز بكنوز ضخمة من الهند، ومن بينها الماسة الشهيرة «كوهي نور»، وكذلك عرش ملوك المغول، والمعروف باسم «عرش الطاووس»، الذي لايزال في طهران، وكان يتوج عليه شاهات الفرس. وأثناء عودته من الهند اغتيل نادر شاه، فتفتتت امبراطوريته. ويعتبر نادر شاه اخر غزاة الهند حتى جاء الغزو البريطانيّ خطراً جديداً يؤثر لقرون في حياة المنطقة كلها.

٢ ـ **حكــم الدرانييـن**: بعد موت نادر شاه دار الصراع بين الأسر الكبيرة في بلاد فارس على الملك. وكان من بين هذه العائلات عائلة القاجار. أما في أفغانستان فقد قام «أحمد خان عبدالي» أحد قادة نادر شاه وأعلن الثورة على الفرس، ودخل قندهار، وأسمى نفسه «دره دوريان» أي درة الدرر، ومن هنا جاءت التسمية بالدرانيِّين. واجتمعت القبائل الأفغانية على إمارة أحمد، وسُمّي «أحمد شاه»، وكان عمره أربعة وعشرين عاماً. ثم استولى على خراسان عام (١١٥٩هـ/١٧٤٦م)، وامتد شرقاً إلى الهند المغولية، وغرباً إلى فارس القاجارية، وامتد ملكه من كشمير إلى مشهد، ومن دلهي إلى نهر أموداريا والبحر العربي. وقد أحبه شعبه، وتوفي عام (١١٨٦هـ/١٧٧٣م). وفي عهد ابنه «تيمورشاه» ظهرت قلاقل، ولكنه قدَّم لشعبه سلاماً لمدة عشرين عاماً. وبعد وفاته اشتد الصراع بين الأمراء، حتى كاد الصراع يفنيهم. وكان آخر ملوكهم «شاه شجاع» الذي دفعته القبائل بتأييدها إلى الثورة والاستقلال بالحكم. وظهر في هذه الفترة خطران: السيخ من الشرق بعد أن احتلوا كامل البنجاب، والفرس من الغرب.

وظهر خطر جديد كذلك يتمثل بامتداد الصراع الأوروبي إلى آسيا. فقد حاول نابليون التعاون مع الكسندر الأول، قيصر روسيا، للقضاء على الامبراطورية البريطانية في الهند. وأصبحت أفغانستان ميداناً لهذا الصراع. وخطر داخلي ظهر كذلك بقيام «محمود»، أخي شجاع شاه، بالثورة ضده. فاحتل محمود كابل، وحاول شجاع شاه الاستعانة بحاكم البنجاب «رانجي سينغ»، ولكن الأخير راوغ حتى استعاد الجوهرة الثمينة «كوهي نور» ثم تخلى عن شجاع، الذي وقع في يد البريطانيين.

٣ ـ **حكم عائلة المحمد زاي البركازي**: عاد محمود شاه للحكم بعد ذهاب أخيه شجاع. ودار صراع بين محمود شاه وبعض معاونيه: «فتح خان» وأخيه «دست محمد». وفي عام (١٢٣٢هـ/١٨١٨م) خرج دست محمد من كشمير واحتل بيشاور وكابل واستولى على ممتلكات محمود شاه. وأسس دست محمد بعد ذلك عائلة مالكة جديدة في أفغانستان هي عائلة «محمد زاي» أو «البركازي». فحكم هو في منطقة وحكم إخوته باقي أفغانستان. وتعرّضوا لهجوم من حاكم بخارى وكذلك من السيخ. واحتل السيخ مقاطعات الحدود، ومناطق أخرى. ولم يبق مع دست محمد سوى غزنة وكابل وجلال

آباد. وظل أقوى إخوته. وأصبحت دولته منطقة عازلة بين الاستعماريين: البريطاني والروسي. وتوالى الحكام بعد ذلك من هذه العائلة: حبيب الله خان (١٣١٨هـ/١٩٠١م - ١٣٣٦هـ/١٩١٩م)، الذي أدخل معالم الحضارة الغربية إلى بلاده، وسعى إلى تثبيت استقلالها. ثم أمان الله خان (١١٣٦هـ/١٩١٩م - ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م). الذي أعلن استقلال أفغانستان. وفي زمانه دارت الحرب الثالثة بين بريطانيا والأفغان، وسميت بحرب الاستقلال، ووقعت بنتيجتها معاهدة بين البلدين في روالبندي في ٨ آب ١٩١٩م، واعترفت بريطانيا باستقلال الأفغان. ولا يزال الناس يذكرون المذبحة التي دبرتها بريطانيا عندما فاجأت (٤٥٠٠) مقاتل وذبحتهم. ثم حكم نادر خان، ثم ظاهر شاه (١٣٥١هـ/١٩٣٣م - ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م). وهو الذي أزاله انقلاب محمد داود، الذي تحدثنا عنه سابقاً.

من هذا العرض السريع لتاريخ أفغانستان نخرج بحقائق جلية نحتاج اليوم إلى وعيها وتدبرها، لتزيدنا إيماناً ويقيناً بالله، ولتدفع عنا الفتنة وشرور الهوى.

وأول ما نتعلمه هو أن الإسلام دخل البلاد على أيدي مجاهدين دعاة إلى الله ورسوله، لا يبحثون عن دنيا ولا يجرون وراء شهوة. ففتح الله لهم الأراضي والقلوب، وجمعوها كلها جزءاً من أمة الإسلام، وظلت البلاد كلها وحدة واحدة تتبع خليفة المسلمين. وما تجزأت إلا تحت تأثير الهوى والشهوة، والعصبية الجاهلية القاتلة. وامتدت هذه العصبيات طويلاً حتى استفاد منها الاستعمار فدخل الديار، وما غادرتها جيوشه إلا بعد أن مزّقها إرباً، وغرس فساده، وترك له جنوداً من أنفسنا يدعون بدعاوته، ويتناحرون لحماية شروره وفساده.

وحتى تتضح هذه الصورة في أذهاننا جميعاً، وفي أذهان أجيالنا المؤمنة الصاعدة، فلنستمع إلى صحابة رسول الله ﷺ، وهم يجيبون «رستم» قائد الفرس قبل موقعة القادسية، التي فتح الله بعدها أرضاً ممتدة وشعوباً أسلمت.

فقد بعث سعد بن أبي وقاص إلى رستم نفراً من الصحابة ومن سادة المسلمين، يدعون رستم وقومه إلى الله سبحانه وتعالى وإلى دينه. ومنهم: النعمان بن مقرّن والمغيرة ابن شعبة، والأشعث بن قيس، وغيرهم. فقال لهم رستم: «ما أقدَمكم؟». فقالوا:

«جئنا لموعود الله إيانا. . . .». فالأمر مرتبَط بالله، بدعوته. ويزيد المغيرة بن شعبة رضي الله عنه الصورة وضوحاً، وهو يجيب رستم حين طلب رستم من سعد رجلاً عاقلاً يجيبه عن بعض أسئلته. قال له رستم: «إنكم جيراننا وكنا نحسن إليكم ونكف الأذى عنكم، فارجعوا إلى بلادكم ولا نمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا». ساق رستم بمهارة كل مغريات الدنيا. ولنستمع إلى المغيرة يدويّ بكلمات الإيمان لتظل أنشودة الدهر، ولحن الأيام، وقصيدة الصدق والثبات. قال المغيرة رضي الله عنه: «إنّا ليس طلبنا الدنيا. وإنما همنا وطلبنا الآخرة. وقد بعث الله إلينا رسولاً قال له: إني سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني فأنا منتقم بهم منهم، وأجعل لهم الغلبة ماداموا مقرِّين به، وهو دين الحق، لا يرغب عنه أحد إلا ذلَّ، ولا يعتصم به إلا عزّ». فقال له رستم: «فما هو؟». فقال «أما عموده الذي لا يصلح شيء منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء به من عند الله». فقال: «ما أحسن هذا، وأي شيء أيضاً؟». قال: «وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله». قال: «وحسن أيضاً، وأي شيء أيضاً؟». قال: «والناس بنو آدم، فهم إخوة لأب وأُم». ثم قال رستم: «أرأيتم إن دخلنا في دينكم أترجعون عن بلادنا؟». قال: «أي والله ثم لا نقرب بلادكم إلا في تجارة أو حاجة».

هكذا دفعت مدرسة النبوة رجالاً يحملون الصورة الجليّة: إيماناً وعلماً وممارسة في واقع الحياة. فقد رسم المغيرة كل قواعد الجهاد في الإسلام، ولو تحدث غيره لما اختلفت الإجابة بالنهج والمضمون، فكلهم جنود مدرسة النبوة.

وستظل كلمات المغيرة دوّياً في الزمان يقرع القلوب والآذان. وعسى أن نجد في جهاد أفغانستان اليوم ما يجدد إشراقة الجهاد الإسلامي، وعظمة الدعوة الإسلامية، تحمل الحرّية المؤمنة والاستقلال والبشريات لأفغانستان، وتحمل معها كذلك خير الإسلام وبركة الإيمان إلى شعوب الأرض. فالبشرية كلها بحاجة اليوم، كما كانت بحاجة أمس، وكما هي بحاجة غدا، إلى نور الإيمان ونهج الإسلام.

ولعل تاريخ الفتح الإسلامي وتمكن الإسلام من النفوس هو أعظم ما يعتَزُّ به شعوب هذه المنطقة. ولقد قدَّم لها الإسلام كذلك أعظم جواهر التاريخ، ولآلىء الأمجاد، وعباقرة الرجال الذين صنعهم الإسلام، وصاغهم الإيمان. فمن هذه الأرض

الطيبة خرج عدد وافر من علماء الإسلام الأفذاذ:

الترمذي (من «ترمذ» على نهر جيحون)، وعدد من العلماء من مدينة سرخس على نهر هاري، وعدد من العلماء من مدينة «بيهق» في المجرى الأسفل لنهر هاري ومنهم أحمد بن الحسين بن علي البيهقي صاحب السنن الكبرى، وعبدالله بن المبارك، وعدد آخر من «مرو الروذ». ودفعت كذلك هذه الأرض علماء في مختلف العلوم والفنون فبالإضافة لمن ذكرنا فقد برز منها أبو حنيفة النعمان، والإمام البخاري، وابن قتيبة، والرازي، والزمخشري، والتفتازاني، ومن المجاهدين محمود الغزنوي، وقطز بن عبد الملك المظفر، قاهر التتار، وكثير غيرهم.

الباب الثاني

جذور الجهاد الأفغاني وبواعثه

الفصــل الأول

لمحة من تاريخ روسـيا

في أفغانســتان وجذور الحركة الشـيوعية

لقد كانت أرض أفغانستان ساحة لصراع ممتد بين الدول الغازية، وممراً للدول الـزاحفة إلى شرق آسيا. وظلت كذلك حتى جاءها الإسلام فحمل لها الخير الذي أحبَّته، والنور الذي انتشر في أرضها، ودماء صحابة رسول الله ﷺ، دماءً وثَّقت العروة التي لا تنفصم أبداً بإذن الله مع العالم الإسلامي، دماءً روَّت الأرض حتى أنبَتت أمة واحدة تعبد ربّاً واحداً. ومنذ ذلك الفتح العظيم أصبح الإسلام هو السدّ المنيع أمام الأطماع الملتهبة لدُول العدوان والظلم.

لقد رأينا في الصفحات السابقة نماذج سريعة من عدوان الدول الغربية، كانت بريطانيا على رأسها، وكانت أشرسها وأبعدها ظلماً، إذا كانت المفاضلة بين الظالمين تجوز. لقد تميّز عدوان هؤلاء بأنهم نهبوا خيرات البلاد وما خرجوا منها إلا وقد تركوا فيها الفقـر والجهـل والمـرض، وتـركـوا الفتنـة فيهـا والفساد، وتركوا الحزازات والشقاق والاختلاف. ثم ورثت أمريكا كِبْرَ ذلك كله من ناحية، والاتحاد السوفياتي من ناحية أخرى.

ولابد من أن نتابع اهتمام الاتحاد السوفياتي لنرى ملامح التخطيط البعيد، ونرى الجذور الحقيقية للغزو السوفياتي الأخير الذي ألهب إباءة الشعب الأفغاني المسلم ليقود جهاداً طويلاً في سبيل الله.

لم يكن اهتمام الاتحاد السوفياتي بأفغانستان في السنوات الأخيرة فقط، ولكنه اهتمام قديم، اهتـمام يعـود لأيام روسيا القيصرية. فلقـد حرصت روسيا دائـماً على محاولة الوصول إلى المياه الدافئة من أي منفذ تستطيعه، بالإضافة إلى الرغبة العدوانية الملحة لدى الدول الكبرى مثل الاتحاد السوفياتي وهو في زهوة قوته.

ولقـد جاء في وصية بطرس أحـد القياصرة العظام في روسيا، التي طُبعت سنة (١٧٩٥م) نصيحة موجهة لحكام روسيا المقبلين مع الأيام: «تقدم إلى أقرب ما يمكن

من اسطانبول أو الهند، وأي شخص يحكم هناك سيكون سيد العالم الحقيقي. وهكذا فعليك أن تثير الحرب المستمرة ليس في تركيا فحسب وإنما في أرض فارس. وعند تدهور الفرس وانحطاطهم وسقوطهم اخترق وتسرَّب إلى أبعد ما يكون في الخليج الفارسي، وأعد تأسيس التجارة القديمة مع الشرق إن كان ذلك ممكناً، واقترب إلى أبعد ما يمكن من الهند التي تعتبر مخزن العالم. وعندما تصل إلى هذه النقطة أو البقعة من الأرض فلن تكون عندئذ بحاجة إلى الذهب البريطاني»[1].

ويعبّر أحد قادة الجيش الروسي، (الجنرال سوبوليف)، بجدود سنة (١٨٨٨م) عن أمله في أن تصبح جبال الهندكوش الحدود الطبيعية لروسيا، وتصبح هرات جزءاً من امبراطوريتهم. ويعبّر وزير خارجية روسيا سنة (١٨٦٤م) عن رغبة بلاده بامتصاص آسيا الوسطى. ويشير السلطان عبد الحميد في مذكراته إلى أهمية مد الخطوط الحديدية في تسهيل سيطرة روسيا على آسيا الوسطى. ويعتبر السلطان عبد الحميد أن هذه الخطوط الحديدية سهلت امتداد نفوذ روسيا إلى ايران. ودعت الصحافة الروسية سنة ١٨٨٥م إلى ضم هرات إلى روسيا، مما أثار ثائرة بريطانيا التي هددت بالحرب.

وظلت الأرض التي تعرف اليوم بأفغانستان مدار صراع واسع بين بريطانيا وروسيا، حتى أخذت بريطانيا تأكيداً من روسيا سنة ١٨٦٩م يقضي بأن تظل أفغانستان خارج مدى أطماع روسيا[2].

وزاد اهتمام الاتحاد السوفياتي مع انطلاقة الثورة الشيوعية من موسكو بقيادة لينين، حين توجه بنداء إلى المسلمين يندد بسياسة بريطانيا[3]. وكان يحكم أفغانستان حبيب الله خان (١٩٠١م ـ ١٩١٩م). وحين اغتيل حبيب الله خان في ليلة ٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩م وهو في معسكره قرب جلال أباد، تولى الحكم بعده ابنه أمان الله خان. وهو أول من سمى نفسه ملكاً. وفي عهده حدثت الحرب الأهلية التي اضطرته إلى مغادرة البلاد، ليحكم البلاد (الحاج سقا) الذي سمى نفسه حبيب الله، والذي أصبح ملكاً على البلاد[4]

---

(١) مجلة الجهاد: العدد (٣٧). السنة (٤). ربيع الثاني ١٤٠٨هـ ـ ديسمبر ١٩٨٧م.

(٢، ٣) مجلة الجهاد: العدد (٣٧). السنة (٤). ربيع الثاني ١٤٠٨هـ/ديسمبر ١٩٨٧م.

(٤) مجلة البنيان المرصوص: العدد (٢٦). شعبان ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

دعا رؤساءُ القبائل «نادر خان» ابنَ عم أمان الله خان، ابنَ عمه الذي كان يعيش في فرنسـا برتبة وزير، دعوه إلى البلاد فهزم الدكتاتور حبيب الله نهائياً في ١٩٢٩م، وقبض عليه وعلى أعوانه، ونفذّ فيهم حكم الإعدام، وأصبح هو ملك البلاد. ولكنه اغتيل سنة ١٩٣٣م، وهو يوزع الجوائز في إحدى مدارس الأطفال ثم جاء ظاهر شاه (١٩٣٣م ـ ١٩٧٣م)[١].

إن هذا الاضطراب في الحكم لا نستطيع إبعاده عن المحاولات الجادة لمختلف الدول الأجنبية لبسط نفوذها، وتأمين مصالحها، واستغلال ما تدعيه من مبادىء في سبيل ذلك.

فلقـد ركّـز الاتحـاد السـوفياتي اهتمامه من أول الطريق على القوات العسكرية الأفغانية مستفيداً من معاهدة الصداقة التي عقدها مع أفغانستان سنة ١٩٢١م. وفي سنة ١٩٢٤م قام الاتحاد السوفياتي بتنظيم سلاح الجو الأفغاني وبناء جيش أفغانستان وتنـظيمـه. وفي سنـة ١٩٢٧م وقّـع الـطرفان اتفاقية جديدة يُنشيء بموجبها الاتحاد السـوفياتي مطارات عسكـرية في أفغـانستان، ويُزَوِّد أفغانستان بالطائرات، ويُدرِّب الـطيارين الأفغان في داخل الاتحاد السوفياتي. فامتدّت بذلك العلاقات وتطورت، وفتحت المجـال الواسع للاتحاد السوفياتي الشيوعي أن يغرس أفكاره، وينشر مبادئه، ويطلق خبراءه في قلب الجيش الأفغاني. ومع منتصف الستينات كان الجيش الأفغاني قد دُرِّب من دول حلف وارسـو، وزُوِّد من أسلحتهـا. فخـلال الفـترة (١٩٥٦م ـ ١٩٧٠م) تدرَّب قرابة سبعة آلاف ضابط أفغاني في الاتحاد السوفياتي، ومالا يزيد عن ستمائة ضابط في أمريكا[٢].

عشرات السنين مضت والاتحاد السوفياتي يعمل بصمت وهدوء، على نهج له محدد مرسـوم. وفي الوقت نفسه، خلال هذه السنين، لم يكن الدعاة المسلمون قد أعدوا أنفسهم لبنـاء الأمـة وحمـاية دينها وأرضها وسكانها المسلمين. وكان الإسلام عاطفة جياشه يرثها جيل عن جيل. والعاطفة وحدها تختلف عن إيمان يصوغه العلم والعاطفة

(١) افغانستان ـ بلاد الإسلام. إصدار لجنة دعم أفغانستان في بلجيكا. (ص: ٩٤ ـ ٩٦).
(٢) التدخل السوفياتي في أفغانستان: د. محمد إبراهيم فضة. طبعة ١٩٨٦م. (ص: ٤٤).

معاً ويصوغه الوعي بالواقع. ذلك أن العدو الملحد الماكر يأتي بأسباب الفتنة والكيد والتخطيط. ولقد مر العالم الإسلامي في مرحلة غلب فيها الجهل فامتدت المؤامرات ووقعت الفتنة. ولكن رحمة الله واسعة تحفظ لدينه قلوباً خاشعة مجاهدة لا تلبث حتى تثب إلى ميدان الجهاد في سبيل الله، تضرب المكر والكيد في صميم نهجه وجريمته.

لم يعد هذا الجيش الذي نظمته المادية اليسارية قوة تحمي النظام القائم. لقد تسرَّب إلى نفوس الكثيرين عداء النظام وكراهيته، وهي تجد أسباباً كثيرة واقعية لتبرير هذا العداء. لقد تطور هذا العداء، وامتد نفوذ الفكر اليساري حتى جعل صهرَ الملك وابنَ عمه، محمد داود، ينقلب على الملك ويطيح بالملكية، دون أن يدري أنه ينفِّذ بذلك سياسة شيوعية يسارية، ويُحقِّق هدفاً يخدم غيره. لقد غاب عن باله ذلك كله حتى أطاح به الشيوعيون وقتلوه شرَّ قتلة.

ولقد ظهر اهتمام موسكو بأفغانستان كذلك سنة ١٩٥٤م عند إنشاء حلف بغداد، وقيام الولايات المتحدة بإنشاء الطريق السريع من باكستان إلى داخل أفغانستان لأهداف عسكرية واضحة، فسارعت موسكو إلى اجتذاب أفغانستان لتشكل إسفينا بين الباكستان وإيران. فعندما تم تشكيل حلف بغداد، ومع سنة ١٩٥٥م، اقترح بعض رجال الدولة الأفغانية طلب مساعدات أمريكية، ولكن أمريكا اشترطت انضمام أفغانستان إلى الحلف. ولما طلبت أفغانستان ضمان حمايتها ضد أي هجوم سوفياتي عليها رفضت واشنطن ذلك، مما اضطر أفغانستان إلى التوجه إلى موسكو التي سارعت إلى عقد اتفاقية جديدة سنة ١٩٥٦م لتزويدها بمساعدات عسكرية قيمتها خمسة وعشرون مليون دولاراً[(١)].

هذه المناورات في السياسة الدولية تذكرنا بمصر حين أرادت بناء السدّ العالي، وحين دفعها تردد أمريكا إلى اللجوء إلى الاتحاد السوفياتي. فهل هناك سياسة دولية توجه الأمور في العالم الإسلامي؟! وهل هناك اتفاق محدّد المعالم على اقتسام الغنائم؟!

وأخذت العلاقات بين موسكو وأفغانستان تتحسّن بصورة مطردة خلال الفترة (١٩٥٠م - ١٩٧٠م)، حتى كان عدد الزيارات بين موسكو وكابول يفوق عدد

(١) التدخل السوفياتي في أفغانستان: د. محمد إبراهيم فضة. (ص: ٤٥).

الزيارات بين موسكو وأي بلد في العالم الثالث ماعدا الهند[1].

كان من أهم ثمار هذه العلاقات التي انطلقت منذ سنة ١٩٢١م هو قيام الحزب الشيوعي الرسمي في أفغانستان. فقد بدأ التجمع اليساري على صورة منظمة مع سنة ١٩٤٧م. ولابد من أن نذكر هنا أن الأربعينات كانت تمثل انطلاقة قوية لليسار ليس في أفغانستان وحدها، وإنّما في العالم العربيّ خاصة والإسلامي عامة.

لقد ظهر اليسار في أفغانستان في حركة «يقظة الشباب» ومن أعضائها البارزين نور محمد تراقي وكارمل. وتكوَّن أول حزب شيوعي في الستينات تحت اسم «حزب الشعب الديمقراطي»، مستفيداً من الأرضية العلمانية التي وفَّرها النشاط اليساري خلال السنوات السابقة، وتشكلت لجنته المركزية برئاسة نور محمد تراقي وعضوية كارمل وحفيظ الله أمين وسلطان علي كتشمند، وصالح زيري، وغيرهم، وذلك في ١٩٦٥/٣/١م. وتوالى الصراع بين هؤلاء، فانقسموا إلى حزبين: حزب خَلْق (الشعب)، وحزب برشام (الراية)، وذلك سنة ١٩٦٧م[2] ثم ظهر حزب شيوعي ثالث هو حزب الشعلة الأبدية.

من هنا اشتدت الحملات ضد الإسلاميين الذين سبق أن بدأت حركاتهم تظهر في الميدان.

في ٢٧ إبريل ١٩٧٨م قام الانقلاب العسكري ضد محمد داود، وسُوِّي قصر محمد داود بالتراب، وقُتِل خمسة عشر ألفاً من الأبرياء خلال أربع وعشرين ساعة. وقاد الانقلاب الجنرال عبد القادر قائد القوات الجوية، وهو نفسه الذي قاد الانقلاب السابق الذي جاء بمحمد داود[3]، وسَلَّم الحكم إلى محمد تراقي وفي ٥ ديسمبر ١٩٧٨م تمَّ توقيع معاهدة صداقة وحسن جوار وتعاون بين أفغانستان والاتحاد السوفياتي، خلال زيارة نور محمد تراقي لبريجينيف في موسكو. وبعد قليل سقط محمد تراقي، رئيس حزب

---

(١) التدخل السوفياتي في أفغانستان: (ص: ٤٤ - ٤٦).

(٢) مجلة البنيان المرصوص: (٢٦ شعبان ١٤٠٩هـ/مارس ١٩٨٩). (ص: ٦٠، ٦١). وجريدة القبس العدد ٦٤٠٤ في ١٩٩٠/٣/٧م السنة ١٩.

(٣) بشائر الإيمان في جهاد الأفغان: أحمد بن عبد العزيز الحصين. (ص: ٤٢).

خلق الشيوعي، حين أطاح حفيظ الله أمين به وقتله. ولما اجتاح الجيش السوفياتي أفغانستان، قتل الكوماندوز السوفياتي الخاص حفيظ الله أمين ليلة ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٧٩م، وأتوا بعميلهم كارمل رئيساً للنظام الذي صنعوا كثيراً من دعائمه، وبدأت عمليات التصفية في أنصار حفيظ الله أمين ثم لقي بابراك كارمل مصير من سبقوه، حين أعلنت إذاعة كابل إقالة كارمل عن أمانة الحزب، لأسباب صحية، وتعيين الدكتور نجيب الله الذي مازال قائماً حتى الآن يرتكب جرائمه. وكان ذلك في مايو من سنة ١٩٨٦م. ثم أقيل كارمل من رئاسة المجلس ووضع في السجن حيث مازال يعيش هناك في طشقند منعزلاً عن الحياة.

هذه صورة موجزة للتدخل السوفياتي وللصراع الشيوعي في أرض أفغانستان، يمكن من خلالها ومن خلال الفصول السابقة أن نلمح شدة التدخل الدولي، وعنف الصراع الدائر فيها.

لقد كانت محاولات التوسع الروسي نموذجاً لأطماع الدول الكبرى، نموذجاً لا يتغيَّر مهما اختلفت المبادىء والشعارات. لقد ظلَّ هذا النموذج ثابتاً منذ أيام العهد القيصري، وامتدَّ إلى العهد الشيوعي، ومازال إلى عهدنا الحاضر، لا يختلف إلا بمقدار ما يتطلبه الموقف من تغيير شعار أو راية. ولم يكن هذا التدخل الروسي ليختلف في صوره العدوانية عن التدخل البريطاني أو الفرنسي أو البرتغالي أو الأمريكي. كله عدوان ظالم يستبيح حمى الدول الضعيفة.

لقد ابتدأ الاتحاد السوفياتي بعد الثورة الشيوعية يصبّ اهتمامه على الفكرة الشيوعية أكثر من اهتمامه الظاهري بالنواحي القومية. وبعد أن انتشرت الشيوعية وقامت أحزابها في دول العالم الثالث. اعتمد الاتحاد السوفياتي على نشاط الأحزاب الشيوعية فيها، بدلاً من الاصطدام العسكري المباشر. ولما أصبحت الظروف الدولية ملائمة أصبحت الثورة العالمية مرادفة للتوسع السوفياتي.

عندما تقدم الجيش السوفياتي إلى داخل أفغانستان، لم يقف الاتحاد السوفياتي وحده في الميدان. لقد وقف معه الشيوعيون في أفغانستان بعد أن تخلوا عن أي ولاء لوطن أو أمة أو دين. وكانت بلغاريا تزود الغزاة بالطعام، وألمانيا الشرقية تدرب الشرطة

والمخابرات الأفغانية التي تسمى خاد، وقوات رمزية من كوريا، وخمسة آلاف جندي من حلف وارسو، وقوات محدودة من منظمة التحرير الفلسطينية. وساهمت الدول الشيوعية بـ ٥٠٪ من نفقات الحرب، والاتحاد السوفياتي بـ ٥٠٪ أيضاً[١].

لقد اندفع الشيوعيون في أفغانستان اندفاعاً عجيباً لتمكين الكفر والإلحاد، كأنهم يوفّرون الجهد الكبير على الاتحاد السوفياتي وجيشه وحكومته. ففي ١٩ أكتوبر سنة ١٩٧٨م أصبحت أعلام أفغانستان تحمل اللون الأحمر لتشابه في ذلك الجمهوريات السوفياتية. وفي ١٢ أغسطس (آب) ١٩٨٠ تمَّ توقيع اتفاقية تعاون في كابل، في مجال العلوم والتقنية، بين موسكو وكابل. وتوفِّر هذه الاتفاقية (١٥٠٠) منحة دراسية للطلبة الأفغان، و (٤٣) استاذاً سوفيتياً لجامعة كابل. وفي ٦ نوفمبر ١٩٨٠م تمَّ افتتاح متحف لينين في كابل بمناسبة الذكرى الـ ٦٣ للثورة البلشفية[٢].

وفي صيف ١٩٨٤م وصل الاتحاد السوفياتي ٢٥ ألف طالب من أفغانستان للدراسة وليصنعوا على عين موسكو. ونَدعو الله العليّ القدير أن يجعل كيد السوفيات وأعوانهم في نحورهم، وأن يعود هؤلاء إلى بلادهم أكثر إيماناً بالله، وأصدق توحيداً، لينضموا إلى كتيبة الإسلام.

ولكن في هذا عبرة لمن يريد أن يعتبر.

---

(١) جهاد المسلمين في أفغانستان يمر بأخطر مراحله. إعداد المنتدى الفكري في لندن ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م. (ص: ٩٠).

(٢) مجلة البنيان المرصوص: العدد ـ ٢٦.

الفصل الثاني

الأحزاب والتكتلات الأفغانيـة

أفغانستان بلد مسلم. رجاله ونساؤه وأطفاله، هواؤه وأرضه وماؤه، كل ذلك حق الإسلام، الإسلام الذي صبّ فيه الدم الزكي الطاهر، دم صحابة رسول الله ﷺ، ثمّ دم المؤمنين على مدى الأجيال:

وثّقْتَ في لَهَبِ المَيْدَانِ آصِرةً ... وَلُحْمةً تَجْمَعُ التَّاريخَ والعُصُرَا[1]

وفي رُباهَا لَنَا ذِكْرَى مُعَطَّرةٌ ... وأُمَّةٌ دَفَعَتْ أَفْلاذَها الغُرَرَا

صَحابَةً لرسُولِ الله يَحْملُهُم ... شَوْقُ الجِهَادِ وَدِينٌ علَّم البَشَرَا

طُيُوفُهُمْ لَمْ تَزَلْ في كُلِّ ناحِيَةٍ ... ذِكْرَى لَتَبْعَثَ في أَجْيَالِها الظَّفَرا

وأفغانستان بلد يطمع فيه الكثيرون، وغزاه الكثيرون. وكان من أسوأ من غزاه الدول الغربية بمصالحها وأحقادها على الإسلام، والشيوعية بكفرها وأطماعها، كلهم ينهبون ويعتدون، جميعهم يحاولون سحق الإنسان، كأنما الناس قطعانٌ تساق لهم، وكأنما الأرض ملك لهم:

سِيَّان موسكو وأمريكا فكفرُهُما ... شرّان مابينَ سَفَّاحٍ ومُضَّطهِدِ[2]

هذا يُقتِّل في شعْبٍ ويَنْهَبُهُ ... وذا يُقَطِّعُ مِنْ سَاحٍ ومِنْ بَلِدٍ

وكُلّهمْ في دِمَاء الخَلْقِ غارقةٌ ... أَكُفُّهُمْ! عَنْ هَوَى الإجرام لَمْ تَعُدِ

كَأَنَّما النّاسُ أَنْعَامٌ مُذَلّلة ... لِغَيِّهِمْ وبِسَاطُ الأَرضِ مُلك يَدِ

واستطاع الغرب أن يوجد في أرض أفغانستان رجالاً عبيداً له، يَرَون حضارته النموذج الذي يجب أن يُحْتَذى في كل أمر. وبلغت هذه التبعية ذورتها في عهد الملك أمان وزوجته ثريا، حين عادا من أوروبا بعد زيارة استغرقت ستة أشهر سنة ١٩٢٧م،

---

(١) من قصيدة للمؤلف في رثاء الدكتور عبدالله عزام رحمه الله.

(٢) من قصيدة على أبواب كابل للمؤلف.

ليحملا روح العداء المكشوف للإسلام تحتَ شعار الحداثة والتطور والتجديد. فأمر الملك أمـان الله النساء أن ينزعن الحجاب، وظهرت زوجته ثريا في مجلس الشورى كاشفة الوجه حاسرة الرأس. ومع أنه سقط وجاء من بعده الأمير حبيب الله الذي لم يستمر أكثر من تسعة أشهر، إلا أن محاولات التغريب تابعها بعد ذلك نادر شاه ثم ظاهر شاه، وكذلك محمد داود رئيس وزراء الملك ظاهر شاه، الذي أصدر مرسوماً سنة ١٩٥٩م بنزع الحجاب، وقامت الطالبات بناء على ذلك بتمزيق الحجاب وحرقه علانية في اجتماع عام. وامتد تأثير الغرب، وامتدت الفتنة حتى أصابت المولوي شاه محمد رشاد، الذي أصدر فتوى بتأييد محمد داود في مرسومه.

وهكذا ظهرت فئة مفتونة تدين للغرب بالتبعية والعبودية، وترى حضارته النموذج الأمثل للاتباع، فأخذوا من هذا النموذج الفساد والعُري والاختلاط والهبوط في اللهو والشهوة والجنس، ولم يأخذوا من العلم إلا أقلّه، وحُرِموا من حقيقة الصناعة. وامتدت هذه الفتنة في واقع أفغانستان إلى السلطة وذوي النفوذ، وكذلك إلى قطاع من الشعب، رجالاً ونساءً.

لم تكن هذه الظاهرة مقصورةً على أفغانستان. فلو نظرت في العالم العربي، والعالم الإسلامي عامة، بلداً بلداً، لرأيت هذه الظاهرة نفسها، على شكل أقوى أو أخف، هنا وهناك، حيث ينطلق دعاة التغريب يلبسون لكل حال لباسها، ولكن يخلعون لباس الإسلام، لباس المروءَة والشرف والتقوى، دعاةً للغرب ولحضارتهم. وربما كان ذلك في زمن متقارب في مختلف الأقطار.

ولقد امتدت هذه الفتنة في أفغانستان في المدن أكثر مما امتدت في الريف والقرى. ورافق هذه الفتنة دعوة كاذبة تقول إن سبب تأخر المسلمين هو دينهم. وصدّق هذه الفرية أهل الضلال والفتنة والشهوات.

وإذا كان التغـريب لم يأخذ شكل حزب رسمي واحد يتبنى التغريب علانية، فكفاه أن رجال السلطة يدعون له، ويكفيه ظهور بعض الأحزاب القومية التي تدعو إلى ذلك حيناً تحت ستار الإسلام، وحيناً تحت ستار القومية.

وفي الوقت نفسه كان النشاط الشيوعي يقوى ويشتد. ولكن النشاط الشيوعي

يبدو أنه كان يستخدم أُسلوباً مختلفاً عن الغرب في بعض نواحيه، متفقاً في نواح أخرى. وأهم نواحي الاختلاف أنه لجأ إلى تأليف الأحزاب الشيوعية الرسمية، التي تدين بالفكر الماركسي علانية وتدعو له علانية، وتخضع إلى موسكو بالولاء والتابعية. وظل الغرب يعمل بكل قواه وبأجهزته ومؤسساته لإفساد الأمة، وظل الاتحاد السوفياتي يعمل بكل أجهزته ومؤسساته، حتى استقرت قوى وأحزاب ومؤسسات في البلاد، خلعت الإسلام وبدأته الحرب والعداء، والمسلمون غارقون في ظروف اجتماعية واقتصادية لم تسمح لهم بالتنبّه المبكر لهذه المؤامرة الدولية، المؤامرة التي مضى عليها عشرات السنين، ومناهج الكفر تنسلُّ في الأمة كما تنسلّ مناهج التغريب، كما حدث في سائر أقطار العالم الإسلامي. لقد قاوم الشعب الأفغاني كل هذه المحاولات في حينها، فخرجوا في مظاهرات، وثاروا على الملوك والحكام الذين أرادوا إفساد الأمة، وقدَّموا الضحايا، وقام العلماء ضد أمان الله ومناهجه. لقد بذل الشعب الأفغاني في مقاومة هذا الفساد بذلاً عظيماً. ولكن الذي نعنيه أنه لم ينتبه إلى ضرورة العمل المنهجي الذي لايقف عند حدود ردود الفعل، وإنما يرسم النهج ويُحَدِّد الأهداف ويمد الدرب. كذلك كان الحال في كثير من أقطار العالم الإسلامي، حيث يهبُّ المسلمون لمعالجة موقف طارىء عندما يبلغ ذورته في الخطر والفساد، لا قبل أن يستشري ويمتدَّ.

ثم أخذَ المسلمون يعون حقيقةالخطر، وأخذوا يعدون أنفسهم لمجابهته، ونما هذا الإعداد نمواً سريعاً قوياً، حتى كانت حركة الجهاد التي تدور اليوم. ومن خلال ذلك كله قامت الحركات الإسلامية لتجابه الحركات غير الإسلامية، التي أخذ خطرها يمتد.

ونحاول أن نعدد الآن أهم الحركات والأحزاب غير الإسلامية والإسلامية، لنلقي ضوءاً على ميدان المعركة وحقيقتها:

١ ـ الأحزاب غير الإسلامية:

(أ) الحزب الأفغاني، «أفغان ملّتْ»: ظهر هذا الحزب منذ عهد مبكر، إلا أنه أعلن عن نفسه رسمياً سنة ١٩٦٦م. وانشق الحزب على نفسه سنة ١٩٦٦م. شعار الحزب: الله، الوطن، الأمة. متعاون مع الحزب الباكستاني. يؤيد اتجاه التسوية السياسية حسب الخطة التي وزعها في ٨ آذار

١٩٨٩م. من أهم رجالـه: فداء محمد فدائي، بشتون بيار، محمد أمين واكن، ستانة جل، غلام محمد فرهاد، قدرت الله حداد، عثمان زيارميل. عارض حكومة المجاهدين، ورفض مجلس الشورى الذي عقد في راولبندي.

ونلاحظ كيف أن هذا الشعار «الله، الوطن، الأمة» انتشر في كثير من بلاد المسلمـين على نماذج مختلفـة تبرز كلها المصدر الواحد المؤثر، وتكشف القـوى المتعـاونة ضدّ الإسلام والتوحيد في أرض الإسلام من ناحية، وفي الأرض كلها من ناحية أخرى. فلا عجب اذن لمثل هذه الأحزاب أن تؤيد حلول السلام والاستسلام، هنا وهناك.

(ب) **حزب الشعب الـديمقـراطي**: وهو الحزب الشيوعي الأفغاني. ولقد ظهر تكـوينه الرسمي في الستينات، من حركة «يقظة الشباب» اليسارية. وقد انشق هذا الحزب، كما مر معنا، على نفسه إلى حزبين أساسيين: حزب خَلْق وتعني (الشعب)، وحزب برشام وتعني (الراية) وذلك سنة ١٩٦٧م. ومن أهم رجال حزب الشعب الديمقراطي: نور محمد تراقي، كارمل، حفيظ الله أمين، واستمر الصراع حتى ظهر أخيراً في محاولة الانقلاب الأخيرة التي قادها الجنرال «شاه نواز تاناي» رئيس جناح حزب خلق، ضد نجيب الله الذي كان رئيس حزب برشام.

(جـ) **منظمة شعلة جاويد**: وهي منظمة شيوعية موالية للصين.

(د) **منظمة «المجموعة الثورية للشعب الأفغاني»**: وهي منظمة منبثقة عن منظمة شعلة جاويد.

(هـ) **المنظمة الديمقراطية للنساء**: وهي تمثل الجناح النسائي للحزب الشيوعي الأفغـاني «حـزب الشعب الـديمقـراطي». وكـان يرأس هذه المنـظمـة «أناهيتاراتب زادة» التي صرخت في البرلمان أنها مستعدة لممارسة الجنس مع جميع الشباب الأفغانيين. وقد تأسست هذه المنظمة سنة ١٩٦١م.

٢ ـ الأحــزاب والتكتلات الإســلامية :

(أ) **الجمعية الإسلامية** : يرأسها برهان الدين رباني . ومن قادة هذه الجمعية أحمد شاه مسعود، الذي يسمى أسد الشهال أو «أسد بانشير» .

(ب) **الاتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان** : ويرأسه عبدرب الرسول سيّاف .

(جـ) **الحزب الإسلامي** : ويرأسه قلب الدين حكمتيار، ومن رجاله المشهورين الحاج عبد الحق .

(د) **حركة انقلابي إسلامي** : أو حركة الثورة الإسلامية ويرأسها مولوي محمد نبي محمّدي .

(هـ) **جبهة التحرير الوطنية الإسلامية لأفغانستان** : ويرأسها صبغة الله مجددي .

(و) **حزب إسلامي** : ويرأسه يونس خالص .

(ز) **الكتلة الوطنية** : ويرأسها السيد بير أحمد الجيلاني .

ومن القادة كذلك أمين وردك بن زعيم قبيلة وردك، وهو يقود (٦٠) ألف مجاهد . وكذلك أحمد شاه المجاهد الذي ترأس الحكومة الانتقالية[١] .

(ح) جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة : ويرأسها الشيخ العالم جميل الرحمن . وهو من أوائل الذين بدأوا الجهاد في أفغانستان ضد الشيوعيين . وكان عضواً فعّـالاً لعدة سنوات في اللجنة التنفيذيّة للحزب الإسلامي الذي يرأسه حكمتيار . اغتيل رحمه الله يوم الجمعة في ٢٠ صفر ١٤١٢هـ الموافق ٣٠ آب (أغسطس) ١٩٩١م، عن عمر يناهز الثانية والخمسين في بيته في (باجور) . وانتخب مجلس الشورى سميع الله أميراً للجماعة خلفاً للشيخ جميل الرحمن .

---

(١) جريدة الشرق الأوسط : العدد (٣٧٣٧) الإثنين ٢٠/٢/١٩٨٩م . البنيان المرصوص : العدد (٢٦) . شعبان ١٤٠٩هـ / مارس ١٩٨٩م .

٣ ـ المنظمات النِّسَائية الإسلامية :

(أ) المنظمة الإسلامية الأفغانية : أُسستْ سنة ١٩٨١م .

(ب) جمعية الأخوات المسلمات : التابعة للجمعية الإسلامية الأفغانية . وكما ذكرنا سابقاً فإن النشاط النسائي في أفغانستان بدأ بصورته المنظمة بحدود سنة ١٩٧١م ، حين كلفت الحركة الإسلامية سيف الدين نصر تيار بوضع نواة أول عمل نسائي إسلامي منظم . فقام بإنشاء قسم خاص بالأخوات المسلمات ، وبدأت الحلقة الأولى في دار المعلمين بكابل[١]

وقامت المرأة المسلمة بدور عظيم في جهاد الأفغانيين خلال المعارك التي خاضها الأفغانيون ضد الغزاة في مختلف العهود . وفي الجهاد الحالي أدت دوراً كريماً ضد الغزو السوفياتي . فقامت بخدمة أسر الضحايا ، وقامت بتنمية الصناعة اليدوية ، وتأسيس المدارس ، وإقامة المعاهد لتحفيظ القرآن الكريم بين المهاجرين ، وإنشاء مدارس البنات ، وغير ذلك من الجهود الكريمة .

والأحزاب السبعة الإسلامية كونت فيما بينها اتحاداً يقود الجهاد الأفغاني في معركته القائمة ضد الزحف السوفياتي ، وفي الوقت نفسه ضد الحركة الشيوعية في أفغانستان . وكان هذا الاتحاد معلماً بارزاً في مسيرة الجهاد .

٤ ـ المنظمات الشيعية :

ويبدو أنها سبعة منظمات كونت بينها اتفاقاً (شورى اتفاق) ، وهم خارج الائتلاف الثماني الأفغاني في إيران .

تكاد تكون هذه هي أهم القوى المؤثرة في واقع الجهاد الأفغاني . ومع أننا ندرك أن كل منظمة أو حزب تحتاج إلى دراسة أوسع ، إلا أننا هنا نورد موجزاً فقط بما يناسب هذا البحث .

---

(١) مجلة الجهاد : العدد (٦٠) ربيع الأول ١٤١٠هـ/اكتوبر ١٩٨٩م (ص : ٢٨ ـ ٣٣) .

الفصـــل الثالـــث

وثبة المؤمنين في افغانسـتان

ظلت أفغانستان وبلاد الهند وكثير من ديار المسلمين معزولةً بعضها عن بعض، بسبب تخلف هذه الـديار، وعـدم توافـر وسـائل الاتصالات، وغزو الدول المعتدية الـظالمة، وتوجيه الإعلام هنا وهناك ليكرِّس هذا العزل المقصود، العزلَ الذي كان يؤلف جزءاً من سياسة العدوان والطغيان الذي تقوده الدول الغازية الطامعة.

إلى عهد قريب، لم يكن المواطن في البلاد العربية، أو في دول إفريقيا المسلمة، أو في غيرهـا من العـالم الإسـلامي، يسمع خبراً عن أفغانستان. ولم تكن الصحف أو الإذاعات تحمل للمستمعين صوراً عما يدور فيها من صراع، إلا النزر القليل. وكذلك لم يكن الأفغـانيُّ نفسه يسمع كثيراً من أنباء إخوانه المسلمين هنا وهناك. عزلة كبيرة امتدت زمناً طويلاً.

وخلال هذه العزلة كان هناك جهل ممتد في العالم الإسلامي، جهل في الدين نفسه حتى كاد يغلب على ما يعرفه الناس خرافاتٌ وأساطير، وعادات وأعراف، يتبرَّأ منها كلها الدين الإسلامي أو يتبرأ من معظمها

وكان هنالك كذلك بين المسلمين غفوة طويلة وسبات عميق، لم يُحسَّ المسلم معه بما كان يُدبَّر له من مؤامرات ومكائد، ولا بما كان يدور في أرضه من صراع وسباق إلى ثروات هائلة وخيرات عظيمة.

لهذه الأسباب كلها، أصبحت قضيةُ ردِّ الأمور إلى منهاج الله ـ قرآناً وسنّة ـ غير قائمـة في حياة المسلمـين عامـة. ومن هذه الثُغرة الواسعة استطاعت قوى عدوّة لله ولـرسـوله، وعدوة للمسلمين، أن تنسلَّ إلى واقعنا انسلالاً هادئاً، ثم تزحف زحفاً مكشوفاً، ثم تتدافع كأنها أمواج براكين.

لقد كان من بواكير التحول في المجتمع الأفغاني هو مجيء رجال إلى الحكم وسط الظروف التي عرضناها أعلاه، تؤمن بضرورة إدخال الحضارة الغربيّة بخيرها وشرها. وربما كان هؤلاء يحسبون هذه الحضارة كلها خيراً صافياً لا شرّ فيها. وكذلك لم يكن

هنـالك حرصٌ على موازنة الأُمور على أَساس قواعد الإِيمان. فحين أَدخلوا التعليم والـطرقـات والسيارات وغـيرهـا، أَدخلوا معها الخبراء الطامعين المفسدين، وادخلوا الفجـور الـذي تحمله تلك الحضـارة. وأَخـطر من ذلـك كله غرسوا الروح القومية والعصبيات الجاهلية. ولعل هذا كله بدأ يبرز بشكل ظاهر مع أَوائل القرن العشرين، ومع حبيب الله خان (١٩٠١م ـ ١٩١٩م). وامتد هذا التحول خلال حكم أَمان الله خان (١٩١٩م ـ ١٩٢٩م)، الذي أَعلن دستوراً للبلاد، وطاف بلدان أُوروبا، ودفع حركة التغريب والتحول غير متقيد بعقيدة الأُمة، حتى قامت الحرب الأَهلية. واستمر التحـول كذلـك في عهـد نادر خان، وظـاهر شاه كذلك. هذه الظاهرة لم تكن في أَفغانستان وحدها، ولكنها كانت مخططاً عاماً مدروساً، تسير عليه الصليبية والشيوعية وقوى اليهود لتدمير العالم الإسلامي، بعد أَن أَيقنوا أَن الإِسلام والمسلمين هم السدّ الحقيقيُّ أَمام أَطماعهم. وغاب عن بالهم أَنهم بعدوانهم هذا إنما يحاربون الله سبحانه وتعـالى، وأَن الله أَكـبر لا إِلـه إِلا هو، وأَنها فترة ابتلاء وتمحيص، لتقوم الحجة على الكافرين والمشركين والمنافقين.

أَمام هذا كله كان لابد من ظهور ردّ فعل إِيمانيّ، تنطلق معه قوى الإِسلام لتدافع عن دين وحمى. وإِذا كانت الحرب الأَهلية التي وقعت في عهد أَمان الله خان صورة من صور رد الفعل هذا، فإِن العهود المتقدِّمة بعد ذلك لم تعد تسمح بمثل هذه الحرب، بعد أَن استفحل نفوذ الأَجانب، وأَعداء الله ورسوله وأَعداء الإِسلام، وبعد أَن قامت الحركة الشيوعية بتنظيم نفسها حزباً يحمل النهج والتخطيط، ويحمل الأَهداف العلنية الصريحة، وبعد أَن أَصبح حكام البلاد أَنفسهم يغذُّون هذه الحركات المعادية أَو تلك، من نفوذ شيوعي أَو نفوذ غربي.

الظاهرة الهامة التي يجب أَن نعيها هو التقاء الأَهداف اليسارية وأَهداف الدول الغربية على حرب الإِسلام في داره وبين أَهله وجنوده. إِن هذا التلاقي سهل مهمة بعض الحكـام مثـل ظاهـر شاه. فبدأ ظاهر شاه بالحرب العلنية ضد حجاب المرأة المسلمة، وداس في مؤتمر شعبي عام حجاب امرأة مسلمة، وأَعلن انتهاء ما كان يسميه بغفلته «الظلام» إِلى الأَبد.

وعندما رفض أهل قندهار نزع الحجاب سيّر لهم جيشاً بقيادة خان محمد، وقتل العدد الكبير من أهل قندهار. وهنا جاء بابن عمه وزوج أخته محمد داود رئيساً للوزراء. جاء به لأنه رجل علماني، وظنّ أنه سيكون عوناً له على انحرافه، وما ظنّ أنه بعمله يُنْهِي هو حكمه بنفسه. وقد كان محمد داود في الوقت نفسه مقرَّباً من الشيوعيين، يعطونه من التأييد ما يحقِّق لهم مرحلة من مراحل نهجهم وخطتهم. فاستطاع رؤساء الحركة الشيوعية أن ينسلوا إلى بلاطه خلال السنوات العشر التي ظل فيها رئيساً للوزارة. فانسل نور محمد تراقي، وبابراك كارمل، وحفيظ الله أمين[1].

«ظاهر شاه» يدوس الحجاب! ظاهرة تستحق الوقوف عندها والتأمل، واستعراض أوضاع العالم الإسلامي وأحوال المسلمين في مثل هذه الظاهرة. قضية الحجاب وقضية المرأة تمثل محوراً واضحاً وظاهرة جلية في معركة الإسلام. ففي مصر، في ثورة سنة ١٩١٩م اشتركت النساء في المظاهرات السياسية، وكان على رأسها «صفية» زوجة «سعد زغلول»، و«هدى شعراوي» زوجة علي شعراوي باشا. وأصبحت المطالبة «بتحرير» المرأة من الجهل ومن الحجاب أمراً ممتداً في كثير من أنحاء العالم الإسلامي. في وسط مظاهرات سنة ١٩١٩م في مصر، تجتمع النسوة أمام ثكنات قصر النيل، ثم يخلعن الحجاب ويلقين به في الأرض، ويسكبن عليه البترول، ويشعلن فيه النار[2]. في بعض مدارس العالم العربي بين ١٩٥٤م - ١٩٥٥م، ينزع طالبات إحدى المدارس الحجاب ويرمين به أرضاً. في بلد عربيّ آخر يتولى المهمة نساء سافرات يهجمن على النساء المحجبات في وسط الشارع، فيعتدين عليهن بالضرب وينزعن الحجاب بالقوة. وتتحدى المرأة المسلمة كل ذلك، وترفض نزع الحجاب، ويظل الحجاب قوة وشرفاً وتقوى. تتحدى المرأة المسلمة ذلك كله في باريس ولندن وفي العالم الإسلامي. ولكن العجيب هو اتحاد الأسلوب في هذا العالم الممتد مع اختلاف بسيط هنا وهناك.

إنها معركة واحدة ضد الإسلام، ضد المسلمين في جميع ديارهم. معركة واحدة يدل عليها اتحاد الأعداء في ميادين التربية والاقتصاد والسياسة والميادين العسكرية أيضاً. معركة واحدة تفرض على المؤمنين أن يستيقظوا.

---

(١) عبر وبصائر للجهاد في العصر الحاضر. د. عبدالله عزام.

(٢) واقعنا المعاصر: محمد قطب. (ص: ٢٥٨).

ولقد ظهرت حركات إسلامية في معظم بلاد العالم الإسلامي، لتجابه هذا الغزو الإلحادي الصليبي. وظهر كذلك في أفغانستان تيار إسلامي يتصدّى للتيار الفاسد المفسد. فقام البروفيسور غلام محمد نيازي بتكوين حركة إسلامية لهذه الغاية. وقام شباب الجامعة بتكوين حركة إسلامية سموها «جوانان مسلمان»، يتزعمها مجموعة من الشباب على رأسهم عبد الرحيم نيازي، وأشرف بعض أساتذة الجامعة على هذه الحركة مثل الاستاذان عبد رب الرسول سياف وبرهان الدين رباني[١].

لقد بدأت الحركة الجهادية مع سنة ١٩٦٨م على صورة ثقافية وعلى صورة دعوة وتكـوين، تدعـو النـاس إلى التمسك بدينهم، ورفض الأفكار والعادات الدخيلة. وأخذت الدعوة تنمو في أفغانستان ويشتد عودها، حتى كأنها تتهيأ للاصطدام المقدَّر لها. وكان ذلك مع مجيء محمد داود رئيساً لجمهورية أفغانستان. فهاجر حكمت يار ورباني وشباب مؤمنون آخرون إلى بيشاور، وسُجن سياف وغلام محمد نيازي في ١٩ مايو ١٩٧٤م. وقتل المهندس حبيب الرحمن في ١٨ يوليو ١٩٧٤م، عسى أن يتقبله الله شهيداً في جنتـه مع سائـر إخوانه، وفي ٥ يوليو ١٩٧٧م أُعدم الدكتور محمد عمر، وخواجا محفوظ، وإنجنير حبيب الرحمن، ومولوي حبيب الرحمن. وامتدت المقاومة، وأخذت تنمو شيئاً فشيئاً.

وعندما قاد نور محمد تراقي الشيوعيّ ثورته في ٢٧ إبريل ١٩٧٨م ليصل إلى رئاسة الجمهـورية، بعـد تصفية محمـد داود، انكشف الوجه الشيوعي الصارخ، وبلغت الشيوعية أعلى مراحل تخطيطها، لتتولى الحكم مباشرة لا من وراء ستار!.

هنـا هبّ الشعب الأفغـانيّ المسلـم هبّة رائعة يدافع بها عن دينه وإيمانه، وداره وحماه، وثرواته وخيراته. لم يصدّهـم عن ذلك سلطة ظالمة غاشمة، ولا جموع كافرة، ولا سياسة دولية ماكرة.

لقـد كانت أول رصـاصـة أطلقهـا الجهـاد في مقـاومـة حكم محمـد داود سنة

---

(١) عبر وبصائر للجهاد في العصر الحاضر: د. عبد الله عزام. بشائر الإيمان في جهاد الأفغان لأحمد بن عبد العزيز الحصين. مجلة البنيان المرصوص العدد (٢٦) شعبان ١٤٠٨هـ/مارس ١٩٨٩م.

١٩٧٥م[1]. ومضى الجهاد كريماً في خطواته غنياً في عطائه. ويمكن القول إنَّ الجهاد انطلق واشتد عوده مع سنة ١٩٧٨م. فلقد هبَّ في ٢٧ ابريل ١٩٧٨م مسلمو زيروك بمحافظة بكتيا، وفي ٤ مايو قامت محافظة غور. ثم توالت المحافظات في أفغانستان، تعلن كلها واحدة بعد الأخرى انطلاقتها للجهاد في سبيل الله. فقامت المحافظات: فراه، أوروزجان، جوزجان، بادغيس، فارباب، لوجر، بل خمرى، لغمان، وردك، بنجشير، غزني، نورستان، سمنغان، هرات. وكانت مذبحة هرات المشهورة في ١٥ مارس ١٩٧٩م، حين قامت القوات القادمة من قندهار بارتكاب مجزرة رهيبة في هرات، حيث قُتل مالا يقل عن (٣٥) ألفاً من المدنيين والعسكريين المتعاطفين مع المجاهدين، بسبب قصف الطائرات الشديد على المنطقة، القصف الذي واكب عمل القوات الزاحفة.

وقامت مظاهرات في سجون الدولة الظالمة العميلة، أشهرها ما تم في سجن بل جرخي الشهير، حيث سقط (٤٠) مجاهداً بينهم سيِّد أكْبَر في ٤ يونيو ١٩٧٩م. وقام عصيان عسكري في هرات في ٢٥ يونيو ١٩٧٩م أدى إلى مقتل (١٩) ضابطاً ومدنياً[2].

وأمام هبّة الشعب المسلم وجد الاتحاد السوفياتي أنه لابد من تدخله المباشر لحماية الحكومة العميلة القائمة، فهبطت الطائرات السوفياتية في ٢٤ و ٢٥ ديسمبر ١٩٧٩م في مطار كابل تحمل القوات والمعدات، ثم تلا ذلك فوراً في ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩م اجتياح القوات السوفياتية لأراضي أفغانستان، وفي ٢٨ ديسمبر أعلن بابراك كارمل من الإذاعة أنه أصبح الرئيس الجديد لحزب الشعب الديمقراطي الحاكم، وهو الحزب الشيوعي، بعد الإطاحة بنظام حفيظ الله أمين.

دخلت القوات السوفياتية بطائراتها ودباباتها وسائر معداتها ورجالها، وهي تحسب أن الجولة هينة عليها، تحسبها مثل جولاتها السابقة الظالمة في الأرض هنا وهناك.

وضجّ العالم لهذا التدخل السافر! وعقدت جمعية الأمم المتحدة جلسة خاصة في يناير ١٩٨٠م، وأصدرت قرارها بضرورة الانسحاب الفوري بدون شرط، بموافقة

(١) بشائر النصر. د. عبد الله عزام. ط١. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. (ص: ٣٨).

(٢) مجلة البنيان المرصوص: العدد (٢٦). (ص: ٥٧ ـ ٥٩).

(١٠٤) دولة ومعارضة (١٨) دولة. ولكن الاتحاد السوفياتي لم يخضع للقرار، لأن العملاقين الكبيرين: الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية كانا على تنسيق واتفاق. ولقد صرح كارتر رئيس أمريكا آنذاك بما معناه: «لقد اتفقنا مع الاتحاد السوفياتي على أن يدخل بقوات محدودة إلى أجل محدود. ولكن الاتحاد السوفياتي خدعنا». والحقيقة أن كارتر يحاول أن يخدع العالم بكلامه هذا، ولكنه لم يفلح.

لقد كانت هذه المعركة تكشف صورة واضحة عن تعاون النظام الشيوعي والنظام الرأسمالي في حربهم ضد الإسلام. ولقد كتبت مجلة المجتمع في عددها ٢٠ صفر لسنة ١٤٠٠هـ، أن وكالات الأنباء العالمية أشارت إلى وثيقة سياسية تعود إلى ثلاثة وعشرين سنة مضت جاء فيها: «إن السياسة الأمريكية مسئولة عن دفع أفغانستان في أحضان الاتحاد السوفياتي»[1]. ولقد كانت هذه سياسة بارزة في أفغانستان، فالملك ظاهر شاه، وهو موالٍ للغرب، يدفع النشاط اليساري في البلاد، ومحمد داود يتعاون مع الغرب ويغذي الشيوعيين في البلاد. ونلمس هذه الظاهرة في مصر حين دفعتها أمريكا دفعاً إلى الاستعانة بالاتحاد السوفياتي. وفي فلسطين حين كان يرعى الانتداب البريطاني الحزب الشيوعي اليهودي والحزب الشيوعي العربيّ. ونلمس هذه الظاهرة في كثير من أنحاء العالم الإسلامي.

وبناء على طلب ضياء الحق، رئيس دولة باكستان، تمّ انعقاد جلسة طارئة لوزراء خارجية الدول الإسلامية بإسلام آباد، لمناقشة قضية التدخل السوفياتي. وذلك في يناير ١٩٨٠م.

ولقد شمل الجهاد الإسلامي في أفغانستان النشاط النسائي. لقد بدأت الحركة النسائية سنة ١٩٧١م. ثم استؤنف العمل سنة ١٩٨١م بتأسيس المنظمة الإسلامية لنساء أفغانستان، ومن بعدها جمعية الأخوات المسلمات التابعة للجمعية الإسلامية الأفغانية، كما سبق أن ذكرنا.

أسست المنظمة الإسلامية عدة مدارس وعدة مراكز لتحفيظ القرآن ولابد من أن نتذكر حقائق الواقع في أفغانستان. فإن ٩٥٪ من نساء أفغانستان لايعرفن الكتابة

---

(١) كتاب أفغانستان مقبرة الغزاة. تأليف: أم القعقاع. (ص: ١٠٩).

والقراءة. ولكن (٨٠٪ - ٩٠٪) منهن يعرفن قراءة القران الكريم فقط ومعظم النساء اللواتي يعشن في الريف منهن متمسكات بالحجاب، يساعدن في الزراعة وتربية الماشية وبعض الصناعات. وأما في المدن فقد رافقت سياسة التغريب سياسة التعليم، فتأثر النساء بمظاهر الحضارة الغربية. وكان على رأس من تأثر بذلك «ثريا» زوجة الملك أمان الله، الزوجة التي ظهرت في مجلس الشورى كاشفة الوجه حاسرة الرأس بحدود سنة ١٩٢٧م، كما ذكرنا سابقاً.



الباب الثالث

انطلاقة الجهاد الأفغاني

الفصل الأول

الجهاد العسكري ومسيرته

لا أكاد أجد مهمة في ميدان الكتابة أدق أو أكثر صعوبة من الكتابة عن الجهاد العظيم في أفغانستان، جهاد المسلمين، جهاداً تفرَّد في نهجه ومعالمه عن جهاد المسلمين في القرن العشرين في أي قطر آخر. وتنشأ الصعوبة والحرج من أنني أعزم أن أكتب صفحات محدودة، لتمثل هي وسائر النثر، والقصائد الشعرية معها، ملحمة ميدانية من أكرم الملاحم وأجلها. صفحات محدودة لجهاد ممتد!.

ولكنها محاولة لابد منها. لنقدّم بين يدي الشعر صورة سريعة تعين على تتبع الأحداث في مراجعها، وتشير ولو إشارة إلى ما نعتقده هاماً وجليلاً، حتى ينهض المسلم بعد ذلك إلى دراسة أوسع لقضية هي من أهم قضاياه في العصر الحديث.

لقد انطلق الجهاد الأفغاني، كما ذكرنا قبل قليل، ثمَّ امتدَّ في أرض أفغانستان، واشتد عوده، حتى شمل الشعب الأفغانيّ كله، وحتى شمل أرض أفغانستان كلها، جبالها الشاهقة، ووديانها العميقة، وأنهارها وسهولها، ومحافظاتها كلها.

ومع انطلاقة الجهاد ازداد ضغط الشيوعيين وضغط جيش الاتحاد السوفياتي، ضغطاً يحمل الإجرام والفتك والوحشية. لقد لجأ الاتحاد السوفياتي إلى المذابح الجماعية على صورة وحشية تتقزز منها الأبدان، وتذكر بجرائم الغزاة العتاة المعتدين في الأرض[1]، الظالمين المفسدين، على مدى العصور. ومن هذه المذابح التي قام بها الاتحاد السوفياتي ـ الدولة الكبرى العملاقة ـ ما يلي:

١ ـ مذبحة مديرية جين / ننجرهار حيث حرقوا (٥٢) طفلاً وشيخاً وإمرأة بعد أن أطلقوا عليهم الغاز المضحك.

---

(١) نقصد بهؤلاء من يسميهم الناس عادة بالمستعمرين. ولفظة استعمر ومستعمر واستعمار تعود إلى لفظة قرآنية ربانية، تحمل ظلالاً كريمة لمهمة الإنسان في الأرض، وللأمانة التي حملها. فقد جاء في سورة هود: «وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب». (هود: ٦١). أي طلب منكم عمارتها. ولذلك لا نجد أن استعمال هذه اللفظة مناسب للتعبير عن العدوان والظلم والإفساد.

٢ ـ مذبحة قصاب كلي وعيسى خيل / كندز حيث قتلوا (٤٠٠) من القريتين.
٣ ـ مذبحة خان أباد: قتلوا (١٨٠) شخصاً.
٤ ـ مذبحة قرية شمنجل/ولسوالي قرعني/لغمان: قتلوا جميع أهل القرية.
٥ ـ مذبحة زرغن شهر / اللوجر.
٦ ـ مذبحة هرات / زندة جان.
٧ ـ مذبحة في أحد مساجد هرات قصفوه بالطائرات بعد جمع الناس فيه.

يضاف إلى ذلك جرائم الاعتداء على الأعراض بصورة همجية، والمجاعات التي ألمت بكثير من المناطق، والقحط الذي أصاب مناطق عدة، وسائر ظروف الحرب الفتاكة الدائرة على أرض أفغانستان. لقد أدى هذا كله بصورة حتمية إلى هجرة أعداد كثيرة، وخاصة من غير المقاتلين والشباب، إلى باكستان. فقد بلغ عدد المهاجرين مع يوليو ١٩٨٠م بحدود (٨٠٠) ألف مهاجر. ثم زاد العدد في عام ١٩٨٢م إلى أكثر من ثلاثة ملايين مهاجر.

لقد كانت إمكانات القتال غير متوافرة على الصورة التي يتطلبها الموقف. فقلة في العتاد، وبداية في التدريب والإعداد. ولكن هذا لم يفتَّ من عضد المجاهدين، فمضوا بكل عزة وتصميم. فكانوا يضطرون أحياناً إلى نقل ذخائرهم من الجنوب إلى الشمال، إلى حدود الاتحاد السوفياتي، على الحمير والبغال، في رحلة تستغرق شهراً أو شهراً ونصف مع صعوبة الطرق والأجواء الطبيعية.

ولم يكن جهاد المجاهدين ينحصر في ميدان واحد. ولكنها ميادين متعددة يخوضونها في وقت واحد. فمع القتال العسكري والالتحام والصدام، كان هنالك ميدان التعليم، والصحة، والاقتصاد، والسياسة، وسائر الميادين الأخرى، خاضها المجاهدون دون ملل أو استسلام، على عنف المؤامرات ضدهم، ومحاولات التخذيل التي كانت تدور هنا وهناك، ومحاولات التمزيق والتفريق. وكانت كل الدول الشيوعية والرأسمالية تدلي بدلوها في هذه الجريمة البشعة.

ولقد تجاوز المجاهدون هذه الفتن كلها بصورة سريعة لم يتوقعها أعداء الله، فالتقت جماعات الجهاد المسلمة كلها في أول اجتماع مفتوح لهم، في ٢٥ إبريل

١٩٨٠م، في مدينة بيشاور برئاسة عبد رب الرسول سياف[١]

وضربت المرأة الأفغانية المسلمة أروع الأمثلة في الدفاع عن دينها وإيمانها وعرضها. كانت المرأة تدفع الأطفال والشباب إلى الجهاد، وكانت تقدم حياتها ما استطاعت لتحمي شرفها. وكانت تعين في الجهاد على قدر ما تستطيع، وهي في قمة إبائها وإيمانها.

فتاة تحلم بالشهادة في سبيل الله وتسعى لها سعيها، وكانت ستُزَفُّ إلى زوجها بعد يومين. خرجت تعرقل سير قافلة من دبابات الأعداء، فمضت في جهادها كريمة حتى انتقلت إلى بارئها، فعسى الله أن يتقبلها شهيدة في جنته[٢]

لقد أصبح الوعي الجهاديُّ نامياً في الأُسرة، حتى إن الأُم لتخجل أن ترى ابنها شاباً لا يشارك في الجهاد. ولا يزال الناس يذكرون قصة المرأة المؤمنة العجوز «أدي غازي» التي ألهبت حماسة المجاهدين، سنة ١٨٤١م، في حربهم ضد الإنجليز، حتى استطاعوا طردهم من القمة الاستراتيجية التي كانوا يحتلونها وكذلك قصة البطلة المؤمنة ملالي سنة ١٨٨٠م في حرب الأفغان ضد الإنجليز، حين ألهبت بنشيدها الإيماني نفوس المجاهدين، فحملوا على الأعداء حملة صادقة حتى انتصروا[٣].

ولم يقتصر الجهاد الأفغاني على حرب الاتحاد السوفياتي والشيوعيين في داخل أفغانستان، وإنما امتد إلى داخل الاتحاد السوفياتي. فقصفوا منشآت داخل طاجكستان[٤]، ودارت معركة قرب محطة القطار في طشقند[٥]، وضرب المجاهدون بحر الخزر (قزوين)، ومطار ترمذ، ودخلوا من بادغيس إلى غابات الفستق في الاتحاد السوفياتي، ودخل مولوي عبد الجبار «أوزبكستان» عدة مرات، وأُخْلِيتْ مدينة «أفينا»

---

(١) البنيان المرصوص: العدد (٢٦). (ص: ٥٨)
(٢) أفغانستان مقبرة الغزاة: (ص: ١٦٩).
(٣) نفس المصدر: (ص: ١٧٢ ـ ١٧٤).
(٤) مجلة البنيان المرصوص: العدد (٢٦).
(٥) عبر وبصائر: (ص: ٤٩).

ومدينة «كتافشلاق» من سكانها، وأغار المجاهدون على مطار «قلعي خم» ودمّروا فيه بعض الطائرات وأشعلوا محطة بنزين، ودخل «مير حمزة» إلى ما وراء حدود الاتحاد السوفياتي في نيسان سنة ١٩٨٦م، وأخذ (٢٥) أسيراً مع قطيع من الأغنام، ودخل «أنجَنير بشير» عدة مرات من «تخار» إلى الاتحاد السوفياتي، ليقوم بعمليات حربية ناجحة[1].

وقد استطاع المجاهدون في ٢٢ ديسمبر ١٩٨٣م أن يستولوا على مطار «الأرجون» بعد قتال عنيف قتل فيه مائة شيوعي.

ويقوى الجهاد ويشتد عوده. وينتقل من نصر إلى نصر. فيفتح المجاهدون ولاية (كونر) بأكملها في اكتوبر ١٩٨٨م، ومعظم مديريات محافظة بكتيا في أكتوبر ١٩٨٨م، ويسيطر المجاهدون على طريق (طورخم - جلال آباد) العام كذلك في اكتوبر ١٩٨٨م. ويغنم المجاهدون أسلحة وذخائر ومعدات كثيرة في كثير من معاركهم.

وفي ١٠ إبريل ١٩٨٨م وقع أضخم انفجار في مستودع للذخيرة في إسلام أباد، فقتل في هذا الانفجار العشرات من الشعب الباكستاني.

إن الصبر العظيم الذي تحلّى به المجاهدون، والتضحيات الهائلة التي كانوا يبذلونها، والعزيمة والتصميم على راية واحدة هي راية الإسلام، ونهج واحد هو نهج الإسلام، إن هذا كله دفع الكثيرين من القوات الحكومية أن تترك حكومة العميل «نجيب الله» وتنضّم إلى المجاهدين. وهؤلاء الذين انضموا لم يكونوا جنوداً فحسب، وإنما جنوداً وقادة عسكريين في رتبهم المختلفة فتجد أن من أخبار الجهاد أن انضم القائد الحكومي جمعة خان للكتيبة السادسة مع (١٦) من جنوده إلى المجاهدين ومعهم سيارة عسكرية وكمية من الأسلحة. كان ذلك في ولاية فراه[2].

وينضم في نفس الولاية (٤) ضباط و (٣) جنود مع أسلحتهم إلى المجاهدين كذلك. وانضم كذلك الفريق فاروق ظريف رئيس قسم الأمن بحكومة كابل. وانضم عدد من الجنود بعد أن قتلوا قائدهم ومعاونه. وتمتد هذه الأحداث في تاريخ طويل.

---

(١) عبر وبصائر: د. عبدالله عزام. (ص: ٤٩).

(٢) مجلة الجهاد: العدد (٧) السنة الأولى.

لانستـطيع أن نتحـدث عن جميع المواقع والمعارك والبطولات. فهذه تحتاج إلى مجلدات. ولكننا في هذه العجالة نشير إلى عدد يسير من أهم المعارك التي دارت في هذا التاريخ الطويل.

لقد استطاع المجاهدون أن يسيطروا على ما يزيد عن ٩٥٪ من أرض أفغانستان، منتقلين من نصر إلى نصر[١].

من أهم المعـارك معركة جلال أباد. وهي عاصمة ولاية ننجرهار. ومنذ سقوط منطقة طورخم الحدودية بيد المجاهدين في ديسمبر ١٩٨٨م، والمجاهدون يتقدمون في الولاية شيئاً فشيئاً، حتى لم يعد للشيوعيين تواجد إلا في جلال أباد ومديرية «سرخ رود» ومديرية «تشبرهار». وأخذ المجاهدون يخططون للهجوم على جلال أباد. ودارت معركة كبيرة حول جلال أباد ابتدأت مع ١٩٨٩/٣/٤م. ومضى الهجوم بقوة، يشارك فيه أكثر من (٣٠٠) مجاهد. ولقد قاوم الشيوعيون مقاومة عنيفة جداً غير معهودة منهم. والمعركة تستمر كسائر المعارك الكبرى في أفغانستان.

وكـان لسقوط (تمرجيل) بأيدي المجاهدين في ١٩٨٩/٣/٦م أثر كبير في تقدم القتال. وكذلك كان هناك أثر كبير لسقوط (خيوة).

ومعركة كابل من أضخم المعارك. وكابل العاصمة قريبة من جلال أباد. وسقوط جلال أباد يسهّل سقوط كابل. وقد قام المجاهدون بعدة ضربات على مدينة كابل، وقصفـوا مطارهـا بثـلاثـين صاروخـاً. واستـولى المجـاهدون على (ميربجاكوت) في ١٩٨٩/٦/٢١م بعـد معـارك عنيفة وغنموا أسلحة وذخائر ومعدات وأخذوا أسرى كذلك. وقد استعاد المجاهدون السيطرة على معظم منطقة نعمان شمال غرب العاصمة كابل. وتمضي معركة كابل حامية الوطيس. واحتل المجاهدون (قرة باغ)، (مير بشته كوت)، (شكـردارا) من مديريات كابل. واخترقوا الحزام الأمني الثالث (كمرنبد)، وانقضوا على الحزام الأمني الثاني (الخاد)، ولم يبق إلا الحزام الأول، وأصبح أكثر من (٧٠٪) من ولاية كابل تحت سيطرة المجاهدين.

ومعـارك كثـيرة دارت على ممر (سـالأنـج)، وخـاصة على أثر انسحاب الاتحاد

(١) الموقف: العدد (٥) السنة (٢).

السـوفياتي واستخدامه هذا الممر لإيصال المؤن والأسلحة والمعدات إلى داخل مدينة كابل. ولقد أظهر المجاهدون بطولات عظيمة فيه، وقدرة واعية على تحديد المواقف والخـطوات. وأقام الروس عدة كمائن في الممر ذهب ضحيتها عدد من القادة مثل: جيلاني عزيز الله، وحبيب خان شاتول، وعبدالرب خان. ويعتبر ممر سالانج امتداداً لجبـال الهندوكوش التي تشكل أعلى جبال أفغانستان. وهو يربط شمال البلاد بباقي المنـاطق الشرقية والغربية والجنوبية. ولقد أنشأ السوفيت هذا الممر أيام الملك ظاهر شاه، واعتـبروه عنوان صداقة. وقد تم افتتاحه في أغسطس ١٩٦٤م وسموه طريق المحبة. استغرق بناؤه ست سنوات، وفيه دهاليز وممرات مسقوفة، وفيه نفق يبلغ طوله حوالي (٢٠) كيلو متراً، وارتفاعه (١٧) قدماً وعرضه (٢٥) قدماً، ويرتفع عن سطح البحر ١١١٠٠ قدماً. أما طول الممر بكامله فيبلغ (١٠٧) كيلو متراً[١].

ومن المـواقع الهامة فتح مديرية (سبين بولدك) في يوم الجمعة ١٩٨٨/٩/٩م، وكذلك فتح القلعة الحصينة فيها، في معركة عنيفة استمرت قرابة أسبوعين تقريباً. وقد غنم المجاهدون فيها راجمة صواريخ لأول مرة مع عشر دبابات سليمة، وذخائر وأسلحة كثيرة[٢].

وارتفـع الأذان والتكبـير، أول أذان منـذ بدء الجهاد فوق أرض (تشاوني)، في الساعة السادسة والنصف من صباح ٢٩ رمضان ١٤٠٨هـ. وتشاوني تعني القلعة. وهي من أشهر الحصون في أفغانستان لتحكمها في ٧٠٪ من طرق المجاهدين. وقد بدأ أول حصار لها في صيف (١٩٨٤م)[٣]

وسيطر المجـاهدون على (دراكي) العاصمة العسكرية لخوست. وهاجموا معظم مطارات الشمال: (شينداند) وقاعدتها الجوية، مطار هرات، وبلدة إسلام قلعة، مطار (تبخر) في (زابل)، مديرية (قيصر) في (فاراب).

كما فتحـوا مديرية (عليكار) في أوائل نوفمبر ١٩٨٨م، و(ماتكو)، وعدة مراكز

(١) البنيان المرصوص: العدد (٢٦) شعبان ١٤٠٩هـ. (ص: ١٦).
(٢) البنيان المرصوص: العدد (٢٤) صفر ١٤٠٩هـ.
(٣) البنيان المرصوص: العدد (٢١). شوال ١٤٠٨هـ.

عسكرية في ولاية لغمان.

ولعله من أهم المعارك التي يجب الإشارة إليها معركة (خوست). و(خوست) هي المدينة الثانية في ولاية (محافظة) «بكيتا» بعد عاصمتها (كرديز). وهي قريبة من الحدود الباكستانية. وقد ضرب المجاهدون حصاراً شديداً حول خوست، وهي تضم (٤٠) ألف شيوعي في ظروف قاسية تهددهم بالمجاعة والأوبئة. وبدأت القوات السوفياتية هجومها في ١٩٨٧/١٢/٢٠م، في ظروف شديدة البرودة، ومهدت لهجومها بقصف كثيف شديد من المدفعية والطيران والدبابات. ودارت معارك عنيفة قاسية. وتمضي المعارك في هذا الميدان على أعنف صورها. وفي ٢١ يناير ١٩٨٨م تبدأ القوات السوفيتية بالانسحاب من خوست بعد أن تكبدت خسائر جسيمة.

ومن الميادين المهمة (بنجشير) حيث دارت معارك ضارية عنيفة. وامتدت المعارك في معظم ولايات أفغانستان. فقد أعلنت مصادر المجاهدين في صفر ١٤٠٨هـ، أكتوبر ١٩٨٧م، عن وقوع (٣٥٠) عملية قتالية خلال شهر أكتوبر في (٢٦) ولاية من مجموع (٢٩) ولاية، غنم فيها المجاهدون كميات كبيرة من الذخائر والأسلحة والمعدات.

وفي ٢٧ رمضان ١٤٠٨هـ تم فتح مركز «تنباته» بوادي «بنجشير». وتفيد التقارير آنذاك أن قوات كابل انسحبت من مراكزها من وادي بنجشير لتتمركز حول ممر سالانج الاستراتيجي المتاخم للوادي. ودارت معارك أخرى في منطقة الوادي حقق المجاهدون فيها نصراً كريماً.

ومعارك قندهار واسعة وكبيرة، وتكاد تكون قندهار مشتعلة دائماً بالعمليات، حتى سميت قندهار الرعب. ومعارك واسعة في ولاية ننجرهار. وحرب وجهاد شامل في أرض أفغانستان كلها.

هذه الحرب الملتهبة كان وقودها النفوس المؤمنة والقلوب الصابرة والرجال المحتسبون. ولعل الشعب الأفغاني قدَّم لها أكثر من مليون ونصف مليون قتيل، ندعو الله أن يتقبلهم جميعاً شهداء في جنته.

لقد أدخل السوفييت نصف مليون جندي في أفغانستان. وتقدر التكاليف اليومية

لهذا الجيش (٢٥٠) مليون دولاراً يومياً و (١٠٠) مليون دولاراً أخرى مساعدة لنظام كابل[١] هذا خلاف الخسائر الكبيرة من طائرات ودبابات وذخائر ومعدات.

وقد أعلن معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن عن مقتل (٢٥) ألف جندي سوفياتي خلال (٥) سنوات[٢]. وأصبحت نتائج القتال مفاجئة للاتحاد السوفياتي، وللدول الكبرى، ولحسابات الشرق والغرب، ولظنون وأمنيات الذين في قلوبهم مرض. وكانت النتائج بشرى للمؤمنين الذين يحبون الله ورسوله.

ولقد هبّ إلى صفوف المجاهدين أعداد من العالم العربي، وأعداد من باقي بلدان العالم الإسلامي، يجاهدون مع إخوانهم الأفغان. فضرب هؤلاء مثلاً لوحدة الأمة المسلمة، وأعطوا أملاً في مستقبل قريب مشرق بالعزة والقوة.

ولكن لابد من أن نعترف أن هؤلاء كانوا قلة بالنسبة لعدد المسلمين في الأرض، المسلمين الذين تجاوزوا المليار. وهنا نحتاج إلى وقفة صادقة مع أنفسنا، وإلى تأمل وتدبّر، وإلى مراجعة حساب.

كيف يريد المسلمون أن يجابهوا الغزاة المعتدين الظالمين في الأرض، ومعظم الطاقة البشرية معطلة، في أمواج من البشر لا تكاد تنتج شيئاً في معركة الإسلام، وأمواج أخرى لا تنتج إلا الأذى والهدم؟!

لابد من مراجعة الحساب والنهج!.

وفي يوم ١٩٨٩/٤/٢٧م، ومع دخول السنة الحادية عشرة من بدء الجهاد في أفغانستان، يعلن المهندس حكمتيار في افتتاحية مجلة الموقف العددان (٦، ٧) للسنة الثانية أن هذه الحرب قد أودت بحياة أكثر من (١,٣٥٠,٠٠٠) مليون وثلاثمائة وخمسين ألف شخص، وتسبب في دمار أكثر من ٧٠٪ من البلاد وأجبر (٥,٥) مليون مواطن على الهجرة من أفغانستان، بعد أن تهدمت بيوتهم تحت وابل القصف من الدبابات الزاحفة والطائرات المنْقَضَّة[٣].

---

(١) كتاب عبر وبصائر: (ص: ٨٦).

(٢) البنيان المرصوص: العدد (٢٦). (ص: ٥٨ (٣) مجلة الموقف: العددان (٦، ٧). (ص: ٤). الافتتاحية.

ولكن الله سبحانه وتعالى أرسل على الاتحاد السوفياتي نكبات ومصائب، كل واحدة منها آية بينة وإنذار للكافرين وبشرى للمؤمنين. فمن لطواغيت الأرض إذا استكبروا وعتوا وظلموا إلا الله الواحد القهار؟!

لقد كانت أول آية جعلها الله درساً وعبرة للسوفيت، وآية بيّنة عسى أن يتدبروا، هي جهاد المؤمنين ووثبة الصادقين، يتسابقون إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. إنها آية بينة حين ينتصر النفر القليل والعتاد اليسير على دولة كبرى مثل الاتحاد السوفياتي.

آية بيّنة، وقدر لله غالب، وقضاء ماض.

ثم انفجار المفاعل النووي السوفيتي في (تشورنوبيل) بمدينة (كييف) عاصمة (أوكرانيا) السوفيتية في إبريل ١٩٨٦م. لقد دمّر الطواغيتُ المفاعلات النووية في العراق وتآمروا على تلك التي في باكستان. فمن يدمِّر المفاعل النووي للطواغيت؟! إنه الله الواحد القهار، العزيز المنتقم الجبّار!

وامتد خطر المفاعل النووي من (تشورنوبيل) إلى أنحاء الاتحاد السوفياتي، وإلى أوروبا، يحمل النذير والعبرة والتذكير. «**فهل من مُدَّكر**»؟!

ومضى قضاء الله وقدره ينذر الناس عسى أن يعتبروا.

ثم الكارثة المذهلة، والفاجعة المرعبة، الزلزال المدمِّر في أرمينيا. في يوم الأربعاء ٧ ديسمبر ١٩٨٨م. ضرب أرمينيا السوفياتية، زلزال مدمِّر بدرجة (٨ على مقياس ريختر). وفي خلال ثوانٍ أصبحت المباني أطلالاً تطحن تحتها أكثر من (٥٥) ألف قتيل. وكأن الناس لم تعهد زلزالاً مثل هذا، وكأنهم نسوا ما حدث في الصين سنة ١٩٧٦م، في مدينة (ناتج شان) حيث ابتلع أكثر من (٦٥٠) ألف إنسان. وذكرت مجلة نيوزويك في ٢ يناير ١٩٨٩م أن ضحايا أرمينيا كانوا لا يقلون عن (١٠٠) ألف نسمة في بلدة (لينياكان)، و (٢٠) ألف في بلدة (سبيتاك) وغيرها.

وزاد من المأساة عبرة ونذيراً تحطم طائرة عسكرية سوفياتية في (لينياكان) ومقتل (٧٨) عسكرياً، ثم تحطم طائرة إنقاذ يوغوسلافية قرب (إيريفان) ومقتل السبعة الذين كانوا عليها.

وانكشفت قدرة الاتحاد السوفياتي في هذا الموقف، حيث ظهر سوء الإدارة وسوء التنظيم وضعف الإمكانات، حتى إن بعض الطائرات تحوّلت عن مسارها واتجهت إلى بلدة سوتشي التي تبعد (٣٦٠) ميلاً عن مكان الزلزال، تحت تأثير سوء الطقس والازدحام الجوي، هذا كله كان سبباً مباشراً في زيادة عدد الضحايا. واستنجد الاتحاد السوفياتي بالأصدقاء والأعداء. والمسلمون فزعوا للنجدة بالطائرات والأموال والخدمات، فقد ذهبت (٤٠) طائرة من البلاد العربية على الأقل.

نعوذ بالله من كل سوء، ونلتجيء إليه، وندعوه ونتوسل أن يحمي عباده المؤمنين، وأن يثبتنا على الإيمان، نحيا عليه ونموت عليه، إنه هو المولى، نعم المولى ونعم النصير.

آيات وعبر فهل من معتبر؟!

ومازالت المعركة العسكرية في أرض أفغانستان ملتهبة، والجهاد ماضياً بإذن الله. وبالرغم من انسحاب الاتحاد السوفياتي إلا أنها مازالت تمد حكومة نجيب في كابل بالمساعدات. وفي الوقت نفسه خُفِّفَت المساعدات التي كانت تصل إلى المجاهدين. ولا شك أن اغتيال ضياء الحق، رئيس حكومة باكستان، رحمه الله، أفقد الجهاد الأفغانيَّ سنداً قوياً، وأوصد بعض أبواب الامتدادات وجاء لقاء الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في مالطة ليظهر مواقف دولية جديدة في مناطق متعددة من العالم، ومن بينها أفغانستان. وتعرّضت أفغانستان مع هذه الأحداث لفصل شتاء قاس أثر في إمكانات التحرّكات العسكرية، يضاف إلى ذلك القحط الذي عانت منه البلاد.

وتبع ذلك سلسلة من جرائم الاغتيالات في صفوف المجاهدين، ووفاة بعض العاملين النشطين. فتوفي تميم العدناني وهو في جولة من جولاته خارج أفغانستان يدعو لقضيتها في ١٨ اكتوبر ١٩٨٩م في أورلندو بفلوريدا. واغتيل الدكتور عبدالله عزام في بيشاور، وهو في طريقه إلى مسجد الشهداء لأداء صلاة الجمعة ومعه ولداه محمد (٢٠) سنة، وإبراهيم (١٥) سنة، حين انفجرت بسيارتهم عبوة ناسفة يبدوا أنها وضعت وأعدت في هذا المكان على طريق المسجد قبل أيام، فقضت عليهم في جريمة مروعة مدبّرة، في ٢٦ ربيع الآخر ١٤١٠هـ الموافق ٢٤ نوفمبر ١٩٨٩م ندعو الله أن يتقبلهم جميعاً ومن سبقهم من إخوانهم شهداء في جنته. وحملت الصحف أنباء اغتيال بعض القادة الميدانيين.

وجاءت حادثة «فرخار» في ولاية «تخار» في شمال أفغانستان في ٦ ذي الحجة ١٤٠٩هـ الموافق ١٩٨٩/٧/٩م، حيث قُتل عدد من المجاهدين من «الجمعية الإسلامية» في كمين أعده أحد رجال «الحزب الإسلامي». وأصدرت حكومة المجاهدين بياناً حول ذلك وقع عليه رئيس الجمعية الإسلامية برهان الدين رباني، ورئيس الحزب الإسلامي قلب الدين حكمتيار، ورئيس الدولة ورئيس الوزراء، يعلنون كلهم تضامنهم لدراسة القضية وتكوين محكمة إسلامية للقضاء في الحادث. ومضى الجهاد قوياً صلباً بإذن الله. وإنها لمسئولية كبيرة تقع على عاتق المجاهدين أن يصبروا ويصابروا ويخلصوا النيّة لله والعمل لوجهه الكريم.

وكذلك كانت حادثة اغتيال القائد الداعية جميل الرحمن أمير جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة فاجعة أليمة، تكشف مدى عمق التخطيط الإجرامي لبث الفرقة بين المجاهدين، ولتوهين قواه وصفوفه. لقد اغتيل رحمه الله يوم الجمعة ٢٠ صفر ١٤١٢هـ الموافق ٣٠ آب (أغسطس) ١٩٩١م، قبل صلاة الجمعة، وهو في بيته يستعدُّ للتوجه للصلاة، بعد أن أنهى بعض اجتماعاته مع إخوانه. دخل عبد الله الرومي، وهو رجل منتسب إلى الإسلام، اطمأن إليه الحرس فأدخلوه. ولما اقترب تظاهر بأنه يُهمُّ بتقبيله، فأطلق النار عليه وأرداه قتيلاً. ثم أطلق النار على الحرس، ثم قتل نفسه.

ولقد أثار حادث الاغتيال حساسية والتباساً، بسبب ما سبقه من خلاف بين الحزب الإسلامي وبين جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة حول ولاية «كنر»، وما دار من قتال بينهما فيها. ولكن الثقة قوية بأن حادث الاغتيال لا علاقة له بهذه الخلافات، ولكنها أيد أثيمة تعمل في الظلام دبّرت الجريمة ونفّذتها.

واستمر الجهاد في معظم ولايات أفغانستان. وكان المجاهدون يسيطرون سيطرة قوية على الوضع العسكري حول مدينة «خوست» من جهاتها الأربع، ويقومون بهجمات متعددة. وفي يوم ١٩٩٠/١/١١م قام المجاهدون بهجوم شامل على المدينة من عدة محاور، واحتلوا بعض المواقع حولها وأخذوا بعض الأسرى وغنموا بعض الأسلحة. وحرر المجاهدون ما يقرب من ٩٠٪ من أراضي منطقة لوجر، ويبقى تحت سيطرة الحكومة مركز الولاية خوست ومنطقة بنشير أفغان. وتستمر المعارك ضارية في

منطقة لوجر.

ولا تزال جلال أباد من المناطق الهامة التي يدور فيها القتال شديداً حتى الآن[1]

ولكن أخطر المواقع وأهمها هي «كابل» مركز النظام الشيوعي. وحول كابل تدور معارك عنيفة. وقد طلب قائد الفرقة الرابعة التابعة للنظام الشيوعي المصالحة الوطنية مع الحاج «شير علم» في محاولة لاستدراجه والمكر به. ولكن محاولاته فشلت وانسحب من الميدان بعد قتال خسر فيه من رجاله وعتاده. ومازال القتال ماضياً حول هذا الموقع الهام. ومن أجل هذا الموقع يدور صراع عسكري وسياسي كبير. ويبدو أن «الحزب الإسلامي» الذي يرأسه المهندس قلب الدين حكمتيار، استطاع أن يقيم شكلاً من أشكال التعاون مع بعض القادة العسكريين الشيوعيين في قلب كابل، الذين يعتمد عليهم نجيب الله في حكمه وعلى رأسهم الجنرال «شاه نواز تاناي» رئيس جناح خلق في الحزب الشيوعي الأفغاني ووزير الدفاع في حكومة نجيب فقام الجنرال «تاناي» بانقلاب عسكري في كابل ضد نجيب في ٦ مارس ١٩٩٠م، لم يكتب له النجاح. وقد نشأ «تاناي» وتدرب عسكرياً في الاتحاد السوفياتي، بالإضافة إلى إعداده وتدريبه على نواح أخرى تتسع لها مواهبه. لقد عقد المهندس حكمتيار مؤتمراً صحفياً للجنرال تاناي، بعد فشل الانقلاب، في منطقة «دوبندي» في ولاية «لوجر»، التي تبعد (٧٠) كلم عن كابل، وذلك في ١٤ مارس ١٩٩٠م.

وقد صدرت بيانات متعددة من جهات عدة حول هذا الحادث الهام، بين معارض لهذا التعاون ومؤيد. ونرى أن القضية أعمق من ذلك، وأنها تستحق دراسة أعمق لتقدم للعمل الإسلامي خلاصة تجارب. يحملها جيل عن جيل، لتستفيد الأمة من تجاربها كلها.

---

(١) مجلة الجهاد: العدد (٦٥) شعبان ١٤١٠هـ/مارس ١٩٩م.

الفصل الثاني

الجهاد السياسي ومسيرته

لم يكن الجهاد العسكري هو الميدان الوحيد الذي خاضه الشعب الأفغاني المَسلم. فإذا كان هذا الشعب عبقرياً في جهاده العسكري، فإنه كان كذلك عبقرياً في جهاده السياسي. فقد خاض السياسة من أطهر أبوابها وقال أطهر كلماتها، وظلت كلماته في ساحات القتال هي نفسها في ساحات السياسة. لقد ظلت الخلفية الإيمانية صادقة غنية هنا وهناك، وكانت نفحات اليقين عطراً هنا وهناك. وظلت كلها دروساً رائعةً يتعلم منها إنسان القرن العشرين، ليرى آيات الله تتجدد في واقع بشريّ ضعيف الإمكانات المادية، قويِّ الروح واليقين والثقة بالله.

لقد كانت أول مشكلة جابهها هي اختلاف الأحزاب الإسلامية وجبهاتها. فجابه المجاهدون هذه المشكلة بوعي وإرادة، وصدق وعزيمة، حتى كان أول اجتماع مفتوح يعقد في بيشاور لتحالف المجاهدين الأفغان برئاسة الاستاذ عبدرب الرسول سياف[١]. وانطلق اتحاد المجاهدين على أسس مدروسة يدعم الميدان العسكري، والميدان العسكري يدعمه.

ولقد جابه المجاهدون عدداً كبيراً من المشكلات الداخلية: اجتماعية، واقتصادية، وتربوية. لقد كان من أبرز المشاكل ما حدث من هجرة من داخل أفغانستان، وما يترتب على ذلك من زعزعة للصفّ الداخلي. وكان يغذي الهجرة المذابحُ الجماعيةُ التي يقوم بها السوفيت، والاعتداءُ على الأعراض، والجوعُ والقحطُ في بعض المناطق، مثل هرات وبادعيْس وفرح وقندهار في بعض السنين، وإغراءات الأعداء، وخلافات الأصدقاء، والنواحي الصحية، وما يحتاجه المرضى والجرحى والمشوّهون من علاج ومستشفيات، ونشاط المؤسسات التنصيرية.

ولقد جابه المجاهدون الخلافات الداخلية التي ظل الأعداء ومن في قلوبهم مرض يحاولون تغذيتها وإثارتها. لقد سعى الاتحاد السوفياتي من ناحية، والشيوعيون الأفغان

---

(١) البنيان المرصوص: العدد (٢٦). (ص: ٥٨).

من ناحية ثانية، والضعفاء والمنافقون من ناحية ثالثة، وأمريكا ومن معها من ناحية رابعة إلى تغذية هذه الخلافات. وربما استعان هؤلاء بمن يواليهم.

لقد زار «نيكسون» مخيمات المهاجرين الأفغان، وزار منطقة الحدود مع باكستان وزار مخيم (ناصر باغ). وحين حاول أن يسلم على رجل عجوز سحب الرجل العجوز يده. وقال له آخر: لماذا أعطيتم فلسطين لليهود. فرأى «نيكسون» أمة كاملة تتمثل في رجل عجوز[1]. رأى أمة واحدة ممتدة عبر القرون والعصور!

لقد دُعي القادة الأفغان إلى إلقاء خطاب في هيئة الأمم المتحدة ولعل مثل هذه الدعوة، كما يظن أصحابها، تفتح الباب للقاء الرئيس الأمريكي ريغان. وحدد «ريغان» موعد لقائه مع رئيس الوفد «حكمتيار» والناطق الرسمي باسمه. ورفض «حكمتيار»، ورفض كذلك مندوب الاتحاد الإسلامي سياف تلك المقابلة في ١٩٨٥/٥/٣٠م.

ربما حدثت مقابلة بعد ذلك، في ظروف جديدة، مما يشجع على الاعتقاد بأن المجاهدين كانوا يتخذون الموقف على أسس واعية هنا أو هناك. فالمقابلة في حد ذاتها ليست حراماً أو خطأً إلا بمقدار ما يقرّره الإسلام على ضوء الواقع، وما يَتوقَّع المؤمن من نتائج تخدم هذا الدين وتنصر كلمة الله. والذي نأمله أن يكون هنالك نهج عام يحدد مثل هذه المواقف.

ولا يضر المجاهدين الإشاعات والهمسات، ما صدقوا الله في اجتهادهم ونياتهم، وما أوفوا بعهدهم مع الله، وما نصحوا لله ولرسوله وللأمة في شورى تدور وقرار يُتَّخَذ.

لا يضرُّ المجاهدين الإشاعات ما داموا يُرسون قواعد إيمانية أصيلة في السياسة الإسلامية، على مستوى قطري، وعلى مستوى دولي. وندرك إشراقة هذه القواعد حين نقارنها بحياة المسلمين في الأرض، وبقضاياهم المختلفة.

لقد أدرك السوفيت، وربما أدركت السياسة الدولية، أن حسم القضية لصالحهم عسكرياً أمر غير متيسر. وهنا ابتدأت نوايا الحلول السلمية عندهم. وأخذت هذه

---

(١) عبر وبصائر: (ص: ٩٦).

الحلول مراحل متعددة تتبدىء بطلب نجيب الله إلى المجاهدين وقف إطلاق النار في ١٥ ينـاير ١٩٨٧م. وفي ١٧ ينـاير يلتقي حشد كبير من أكثر من (٢٠٠) ألف من المجـاهـدين والمهاجرين الأفغان في اجتماع يضم قادة الأحزاب الإسلامية السبعة. وينتهي الاجتماع برفض مشروع نجيب الله.

شورى رائعة تدور في ميدان الجهاد، شورى لا يعطلها أعذار القتال، شُورى لأمر هام خطير يمسُّ مستقبل كل أفغـاني، بل كل مسلم. شورى تضـع النـاس أمام مسئولياتهم اليوم وغداً. شورى في ميدان اللهب والقتال:

لقد تجاوزْتِ شَكْوَانا وواقِعَنَا وقُمْتِ مِنْ غَفْوَةٍ ركضاً إلى كَبَدِ
هُناكَ بَيْنَ اللظَى صُغْتِ السياسة لا بين الأرائكِ والأطباق والحَفَدِ
هُناك صُغْتِ على الميدان فلسفةً تَقولُ إن شئتَ نَصْراً قُمْ له وجُدِ
وعُذْ بربّكَ لا تُشْرك بِهِ أَحَداً ومن يَعُذْ بِسوى الرحمنِ لم يَسُدِ

وفي يوليو ١٩٨٧م يجتمع لأول مرة (١٢٠٠) من قادة الجهاد بولاية (غور) للبحث في قضـايا الجهـاد. هكـذا ينمو العمل ليستكمل عناصره، فتنمو الشورى في أكرم مظاهرها بعيدة عن ديمقراطية أو غيرها.

لقد شعر الاتحاد السوفياتي بحقيقة الخطر الذي تورّط فيه. وبدأت تراوده فكرة الانسحاب. فقد أعلن غورباتشوف عن انسحاب (٦) كتائب مدفعية من أفغانستان، بالإضافة إلى (٦٠٠٠) جندي سوفياتي، وذلك في يوليو ١٩٨٦م. ثم يعلن نجيب الله، بعد مقابلته الزعيم السوفياتي غورباتشوف، عن رغبته بالمصالحة الوطنية وعن رأيه بقيام حكومة ائتلافية.

ومـع اشتداد ضغط المجاهدين، يزور غورباتشوف كابل فجأة، وتستمر زيارته ثلاثة أيام. وبعد ذلك يعلن وزير الخارجية السوفياتي أن عام ١٩٨٨م هو آخر أعوام القوات السوفياتية في أفغانستان، وذلك في يناير ١٩٨٨م.

وفي فبراير ١٩٨٨م يعلن غوربـاتشوف على شاشات التلفاز السوفياتي عن بدء انسحاب القوات السوفياتية من أفغانستان، شريطة توقيع معاهدة جنيف، ليُمثِّل

هذا الإعلان مرحلة جديدة في حياة الجهاد الإسلامي في أفغانستان، مرحلة تحتاج إلى قدر كبير من الوعي والتدبر والإيمان.

وظهـرت هنا المقدرة السياسية للمجاهدين، حين تجاوبوا مع الأحداث بشكل إيمانيٍّ حاسم، فأعلنوا عن تشكيل حكومتهم المؤقتة برئاسة المهندس «أحمد شاه أحمد زي». وذلـك على أثر تكوين مجلس الشورى الذي حاول الأعداء تعطيله بكل الوسائل. وقد كان انعقاد مجلس الشورى نصراً عظيماً للجهاد الأفغاني. فقد افتتحت الجلسة الأولى عصر يوم الجمعة ٤ رجب ١٤٠٩هـ الموافق ٢ شباط (فبراير) ١٩٨٩م، في مدينة الحجاج، المدينة التي أنشأها الرئيس الراحل لباكستان ضياء الحق رحمه الله، لحجاج الصـين الـذين يأتون من بلادهم عن طريق البر. وقد حضر المجلس قادة المنظمات والقـادة الميدانيّون، وقادة المنظمات الشيعية، وممثلان عن القائدين أحمد شاه مسعود وإسماعيل خان وبعض الوجوه السياسية المعروفة من المهاجرين. وبلغ عدد الأعضاء (٤٤٦) عضـواً. وبلغ عدد الصحفيين ومنـدوبي الـوكالات العالمية (٣١٨) صحفياً معظمهم من الأجانب.

لقـد وقفت باكستان موقفاً كريماً مشرّفاً من الجهاد الأفغاني بقيادة ضياء الحق. وقفت باكستان هذا الموقف حكومة وشعباً. وقامت الدعوة الإسلامية بدورها الكريم وواجبها الأمين إن شاء الله. وباكستان تشترك في حدود طويلة مع أفغانستان تبلغ ٢٥٠ كم تقريباً، تمتد مع خط (ديوراند) الذي يفصل أفغانستان عن باكستان من الشرق والجنوب. ولذلك كان موقف باكستان هاماً ومؤثراً لوجود رابطتين أساسيتين: العقيدة والجـوار. ولقـد دفعت باكستان، ودفع ضياء الحق حياته ثمناً لهذا الموقف المتحدّي للقوى الدولية ولسياستها التي تسعى لها، عندما انفجرت طائرته بمؤامرة دنيئة في ١٧ أغسطس ١٩٨٨م.

لقد سلك الاتحاد السوفياتي عدة طرق للخروج من أزمة دخوله إلى أفغانستان، قبل أن يلجأ إلى الحل الأخير والوحيد، وهو الانسحاب بجيوشه من أرض أفغانستان المسلمـة. لقـد دعـا السـوفيت المجـاهدين إلى مفاوضات لمناقشة ما أسموه القضية الأفغانية. فكان موقف المجاهدين في قمة الصدق والوفاء لدينهم. فخطب يومها أمير

التحالف الإسلامي حينئذٍ المهندس حكمتيار أمام حشد من المهاجرين في بيشاور رافضاً خطة السوفيت، وذلك في ٢٨ مارس ١٩٨٣م.

ولقد حاولت أمريكا من ناحية أخرى دفع الملك المخلوع ظاهر شاه، ودفع الحياة في كيانه المتهدم، وتركيب بعض الزخارف عسى أن يقبله الشعب الأفغاني. ولكنَّ ذلك كله لم يعدْ بأي نتيجة، وظل موقف المجاهدين صلباً في وعي وإيمان.

لقد حاول الاتحاد السوفياتي بالاتفاق مع الغرب، وبالسير نحو سياسة الاتفاق الدولي، المناداة بتشكيل ما أسموه «الحكومة المحايدة المقبولة لدى الدول العظمى»، وكذلك حاولت إرسال قوات أمن دولية للدفاع عن هذه الحكومة المحايدة الموهومة. كما سعت إلى عقد مؤتمر دولي يوافق على جعل أفغانستان منطقة منزوعة السلاح. يضافُ إلى هذا كله جهود الاتحاد السوفياتي في محاولة إشعال نار الحرب الداخلية، وعلى تمرير سياسة الاتحاد السوفياتي، أو السياسة الدولية يضافُ إلى ذلك أيضاً محاولة الاتحاد السوفياتي تجزئة أفغانستان، وإيجاد الخلاف بين الأفغان أنفسهم فقد وعد الاتحاد السوفياتي الأحزاب المتواجدة في إيران بالحكم الذاتي، إذا قبلوا بالحكومة الائتلافية مع الحزب الشيوعي (خلق)[1]، ورمت بمختلف وسائل الفتنة.

هذا طرف فقط من محاولات الاتحاد السوفياتي. يُضاف إلى محاولات الغرب، حيث كانت تصب في أرض أفغانستان هيئات ومؤسسات، تحت جميع الشعارات الإنسانية، تنفث السموم والفساد، والفتنة والشقاق.

وبعد تسع سنوات من الجهاد المتواصل بالبذل السخيّ والعطاء، وقف قادة المجاهدين يعلنون في مؤتمر عام، وهم أقوى وأصلب، أن الجهاد ماضٍ حتى قيام الدولة الإسلامية، ويُرفضون فكرة الحكومة الإئتلافية، والمؤتمر الدولي، ويعلنون: لن نسمح لأحد أن يقرر مصيرنا من الخارج، ويُصرونَّ على انسحاب السوفيت انسحاباً كاملاً دون أي شروط، على إزالة الألغام التي زرعها السوفيت في أرض أفغانستان، إلى آخر ما أعلنوه من مبادىء ومقررات وطلبات، ارتفعوا بها إلى قمة عالية من الوفاء لدينهم

(١) مجلة الموقف: العدد الخامس ـ السنة (٢). جمادى الثانية ١٤٠٩هـ. (ص: ٤).

والصدق مع ربهم.

أعلنت موسكو رغبتها بالانسحاب من أفغانستان على لسان زعيمها غورباتشوف، وبدأت الإشارات تصدر لتقول على لسان بعض القادة السوفيت، إن قرار الدخول إلى أفغانستان كان قراراً خاطئاً، ولم يستكمل المداولات الرسمية اللازمة. لقد أعلن غورباتشوف الرغبة بالانسحاب، قبل بدء المفاوضات بين موسكو وإسلام أباد.

ثم دارت المفاوضات في جنيف تحت ضغط دولي رهيب. دارت المفاوضات واشترك فيها الاتحاد السوفياتي وباكستان وأمريكا ونظام كابل. وكان الضغط على باكستان كبيراً جداً. وكان رئيس وزراء باكستان «محمد خان جونيجو» يُصرُّ على توقيع معاهدة جنيف إصراراً يُحرج الدولة والأمة. ولعله لهذا السبب ولأسباب أخرى أُقيّل «محمد خان جونيجو» من رئاسة الوزارة في مايو ١٩٨٨م.

وقد سبق أن تم التوقيع على معاهدة جنيف في ١٤ إبريل ١٩٨٨م. بحضور الأمين العام للأمم المتحدة، ووزراء خارجية الدول الأربع. ولقد قررت تلك المفاوضات رسمياً انسحاب القوات السوفياتية من أفغانستان على فترتين تنتهي الفترة الثانية في ١٥/٢/١٩٨٩م. ثم أتبع الاتحاد السوفياتي ذلك بالمطالبة بمبدأ المفاوضات المباشرة الذي رفضته في أيام سابقة[١].

وقبل المجاهدون المفاوضات المباشرة. وبدأت المفاوضات المباشرة بين وفد المجاهدين بقيادة الأستاذ برهان الدين رباني، ووفد السوفيت برئاسة نائب وزير الخارجية السوفياتي الأول، بولي فورنتسوف، في مدينة الطائف في المملكة العربية السعودية، وذلك في ١ ديسمبر ١٩٨٨م. وفي الوقت الذي كانت تدور فيه المفاوضات في الطائف، وبعد بدء الجولة الثانية منها، توجه فورنتسوف إلى إيطاليا ليفاوض ظاهر شاه، وليحاول بذلك تنفيذ مؤتمرات التفرقة والكيد. ثم ذهب ليمارس نفس سياسة التفرقة في مفاوضة بعض المجموعات المتواجدة في إيران. ووقف المجاهدون صفاً واحداً، وعاد مكر أولئك في نحورهم. فهدّد السوفيت في الجولة الثالثة من المفاوضات

---

(١) الموقف: العدد (٥). السنة (٢). (ص: ٢٨).

المباشرة التي عقدت في إسلام أباد بتأخير عملية الانسحاب، وبمتابعة دعم حكومة نجيب الله عسكرياً، إذا لم يتم الاتفاق على اشتراك حكومة نجيب الله في الحكومة المستقبَلة. هنا قطع المجاهدون المفاوضات، وشدّدوا هجماتهم العسكرية، ومضى الجهاد على بركة الله.

مواقف رائعة من العزّة والإيمان، تنضم إلى لآلىء التاريخ الإسلامي العظيم في مداه الطويل. وظل شعار المجاهدين وهدفهم القريب المباشر هو قيام دولة إسلامية في أفغانستان يحكمها كتاب الله وسنة رسوله، لتكون نوراً في الأرض، وخيراً وبشرى للمؤمنين.

وينمو صف المؤمنين في أفغانستان، ويلتقي المؤمنون صفّاً واحداً في حكومة واحدة، يعلنون عن قيامها في يوم ٢٣/٢/١٩٨٩م، بعد شورى مستفيضة، استغرقت أسبوعين على الأقل. وجاء تشكيل الحكومة هذه ليمثل مرحلة هامة، ونقلة واسعة، ومنعطفاً كريماً. فمن جماعات شبه متفرقة مستقلة، إلى اتحاد إسلامي للمجاهدين، إلى حكومة ودولة تسيطر على ٩٥٪ من أرض أفغانستان. ويصبح المجاهدون بذلك جيشاً إسلامياً تديره مؤسسة واحدة. وكان اعتراف الدول بهذه الحكومة أمراً ضرورياً، وفي غاية الأهمية، يقلل كثيراً من إراقة الدّماء، ويفتح السبيل إلى سلام حق. هكذا يطلب الأقوياء السلام، وهكذا يقررون مصيرهم. فقام وزير الخارجية حكمتيار بجولة كبيرة إلى السعودية والعراق وليبيا وسوريا وإيران ثم قام بجولة ثانية إلى ماليزيا وبنجلاديش، سنغافورة، اليابان، بروناي، الصين، أندونسيا. وكانت المملكة العربية السعودية أول الدول التي تعترف بحكومة المجاهدين، لتضمَّ دعماً جديداً إلى دعم سابق. ثم تلا ذلك اعتراف دول أخرى: السودان، البحرين، ماليزيا.

وحين عُقد المؤتمر الثامن عشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية، نالت حكومة المجاهدين موافقة المؤتمر على منح كرسي أفغانستان الشاغر إليها وكان لكلمة رئيس وفد حكومة المجاهدين أثر كبير. وكان من جملة ما قاله: «.... وقد أثبتت منظمة المؤتمر الإسلامي بهذه المبادرة التاريخية التي سجلتها في هذا المجال بأنها قادرة دوماً على أن تلعب دوراً فعالاً ومؤثراً في حل القضايا المتعلقة في الدول الإسلامية. ولا يمكن لأحد

أن ينكر هذه الحقيقة بأن هذا الإجماع الرائع على تأييد الموقف العادل لشعبنا المسلم والقـائم على حق تقرير المصير، دون أي تدخل وضغط خارجي، وعلى طرد النظام المفروض على شعبنا، يعكس الإرادة الصلبة لأمتنا في علاج مشكلاتها وأزماتها التي تحيط بها».

ويقول كذلك مُقدراً عظمة هذا الموقف وأثره:

«وبما أن المقعد الخاص بأحد أعضاء هذه المنظمة والذي كان شاغراً طيلة السنوات المـاضية يُمنـح لممثله الشرعي في الوقت الذي يتولى فيه الأخ الدكتور حامد الغابد الأمانة العامة لهذه المنظمة، ويكون أخي سمو الأمير سعود الفيصل رئيساً لهذا المؤتمر، فأنتهز هذه الفرصة السعيدة لأشكرهما على هذا النجاح الباهر الذي قد أخذ مكاناً عزيزاً في ذاكـرة شعبنا وإلى الأبد. ويطيب لي أن أكرر شكري وتقديري مرة أخرى للدول التي وقفت بجانب شعبنا في مقاومته للمعتدين وساعدته في المجالات العملية والسياسية والإعلامية ليخرج من محنته»[1].

وعقد المجاهدون الاجتماع الأول لحكومتهم داخل أفغانستان، في إحدى المناطق المحـررة في «خـوست» (شيوة)، وفي مسقط رأس «نجيب» بالذات، في تحد واضح لحكومة «نجيب» وأعوانه، وللسوفيت وسطوتهم، وللتأكيد على أن حكومة المجاهدين هذه تسيطر على معظم أفغانستان. وتختلط في هذا الاجتماع أصوات النصر والعزّة: آيات تُتْلَى من كتاب الله يُفْتَتَح بها الاجتماع، ودويُّ القذائف يطلقها المجاهدون في ميدان قتالهم الدائر على المراكز الشيوعية. وكان رئيس الدولة صبغة الله مجددي الذي قال: «...... لقد استطعنا بعد (١٦) يوماً أن نعْقد اجتماعنا داخل أفغانستان. وهناك حكومات تشكلت خارج بلادها ولكن ربما لا يسيطرون على جزء من أراضيهم.». وتلا الشيخ سياف رئيس الوزراء أسماء الوزراء كما يلي:

المهندس قلب الدين حكمتيار وزير الخارجية، مولوي محمد يونس خالص وزير الداخلية، مولوي محمد نبي محمدي وزير الدفاع، الشيخ محمد إسلام وزير الزراعة،

---

(١) الموقف: العددان: (٦، ٧). السنة (٢). شعبان/رمضان ١٤٠٩هـ. (ص: ١٢ ـ ١٤).

سيد أحمد جيلاني حسن جيلاني وزير القضاء، الأستاذ علي أنصاري وزير الحدود، الـدكتـور نجيب الله وزير الـدعـوة والإرشاد، حاجي دين محمد وزير أمن الدولة، الدكتور سيد محمد نادر وزير الصحة، المهندس أحمد شاه وزير الاتصالات، مولوي محمد شاه فضلي وزير البحوث العلمية، هداية الله أمين أرسلان وزير المالية، القاضـي نجي الله وزير العـدل، الأستاذ برهان الدين رباني وزير الإعمار، الدكتور فاروق أعظم وزير التربية والتعليم، الشيخ عبد الرزاق وزير الحج والأوقاف، المهندس إيشان جان عريف وزير المعادن والصناعة.

وعقدت الحكومة اجتماعها الثاني في ولاية بكتيكا بحضور رئيس الدولة ورئيس الوزراء. ودام الاجتماع ثلاثة أيام[1]. وبهذا تثبت الحكومة الأفغانية سيطرتها على البلاد وحقَّها بالاعتراف بها.

وافتتـح صبغـة الله مجددي رئيس دولـة أفغـانستان الإسلامية الانتقالية «وكالة المعلومـات الإعـلامية لأفغـانستـان الإسـلامية»، «ميديا»، التـابعـة لوزارة الدعوة والإرشاد. وقد انضم إليها «وكالة الأنباء الأفغانية، أنا،» وكذلك «وكالة البنيان»، والقسم الإخباري بالمركز الإعلامي الأفغاني. وستكون مكاتب وكالة الأنباء الأفغانية في إسلام أباد وفي كويتا مكاتب فرعية لميديا[2].

لقد رفع الجهاد الأفغاني قضية أفغانستان إلى مستوى دولي حقيقي، تحرّكت فيه كل القوى الدولية تحركاً قوياً، تحرّكاً يستخدم قواها وإمكاناتها ووسائلها المتعددة.

إذا كانت ميادين الجهاد تمثل العامل الأول المؤثر في مسيرة القضية، فإن ميادين السياسة تمثل كذلك عاملاً خطيراً لايقلّ أثره عن العامل الأول. وجاء مؤتمر استوكهولم في ٣١ يوليو ١٩٨٩م. يجمع وفدين على مستوى عال من الخبراء، وفداً أمريكياً ووفداً سوفياتياً، يلتقيان لمدة يومين على جدول أعمال يحمل قضية أفغانستان في أهم بنوده، وليكـون اجتـماعـاً تمهيدياً لاجتماع وزراء الخارجية المقرر عقده في سبتمبر ١٩٨٩م.

---

(١) البنيان المرصوص: العدد (٢٧). (ص: ١٨ ـ ٢١).

(٢) الجهاد: العدد (٦٠). (ص: ١٠).

ودخلت بذلك أفغانستان قضية هامة في زحمة القضايا الكبيرة في أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية، وفي أفريقيا، وفي جنوب شرق آسيا، وكذلك في أوروبا. وفي هذا السوق الدولي، حيث تعرض هذه القضايا الكثيرة، تدور المساومات، خاصة بين العملاقين الكبيرين، وكذلك بين الدول الأخرى مثل إنكلترا وفرنسا وغيرهما من دول أوروبا. وكذلك من آسيا تحركت بعض الدول المجاورة مثل إيران، والهند. وبرز نوع من التقارب بين إيران والاتحاد السوفياتي، ولقاءات بين إيران وباكستان وخاصة بعد مصرع ضياء الحق: بنازير بوتو تزور في طريق عودتها من أوروبا إيران، راجيف غاندي، رئيس وزراء الهند يزور باكستان في ١٦ يوليو ١٩٨٩م، ووزير خارجية إيران يزور باكستان، هاشمي رفسنجاني يزور الاتحاد السوفياتي في يونيو ١٩٨٩م.

وكان من أبرز التحركات السياسية زيارة المبعوث الأمريكي لدى المجاهدين، «بيتر تومسون» لعدد من قادة المجاهدين الميدانيين، والوزراء، والمهاجرين، ورئيس الجمهورية صبغة الله مجددي. ثم زيارة بيتر تومسون لباكستان ومفاوضة المسئولين، ثم زيارته للسعودية.

وقامت لجنة سوفياتية بزيارة المجاهدين لبحث إطلاق سراح الأسرى السوفيت.

ومن العوامل المؤثرة في واقع أفغانستان هو الصراع الدائر بين جناحي الحزب الشيوعي الأفغاني على الحكم: جناحي: خلق وبرشم. ونجيب هو من حزب برشم، و«شاه نواز تاناي» هو من حزب خلق، وهو وزير الدفاع في حكومة نجيب وهذا الصراع القديم، كما عرضنا سابقاً، كان عاملاً أساسياً في محاولة الانقلاب داخل حكومة كابل يقودها «تاناي». وحين فشلت وضع رهن الاعتقال. ثم تعود المحاولة في صدام عسكري دام يذهب فيه عدد غير قليل من المدنيين بالإضافة للعسكريين. وحين فشل هذا الانقلاب نجح «تاناي» في الإفلات من كابل لمتابعة نشاطه من خارجها.

ومن العوامل المؤثرة كذلك العناصر الشيعية التي كان لها موقف يثير الدهشة. فمن ناحية يبدو أن لها علاقة قوية مع إيران، ومن ناحية أخرى تطلب نسبة عالية لها من الأعضاء في مجلس الشورى، لاتتفق ونسبتهم السكانية.

والعامل الآخر في التأثير في الواقع الأفغاني هو العالم الإسلامي، شعوبه وأقطاره.

ولكن الواجب يقضي بأن يكون التأثير أَشد وأَكبر مما هو عليه الآن من حيث المدد والعون.

لقد أَصبحت أَفغانستان موضع نشاط سياسي هائل، تقوم به كل الدول المجاورة، والدول الكبرى، والدول الصغرى التي تدور في فلك الدول الكبرى.

ولابـد من أَن نشير إلى أن أَيّ دولة من هذه الدول لا ترسم سياستها ولا تحدد موقفهـا بناء على لقطات صحفية أَو تصريحات إعلامية أَو إشاعات ظنية. إنها تحرك معظم طاقاتها وأَجهزتها حتى تأتيها بالخبر اليقين المدروس. فأَمريكا مثلاً لم تعتمد على تقارير « بيتر تومسون » فحسب، ولا على تقارير السفير الأَمريكي وحده، وإنما عملت أَجهـزة المخـابرات الأَمريكية جهدها، وصبّت سائر المؤسسات الاجتماعية والصحية والاقتصادية والعلمية طاقاتها، لتخرج هذه كلها بصورة تستطيع معها أَمريكا، أَو غيرها من الدول المهتمة بالقضية، أَن تضع التصور الأَقرب لمصالحها وأَطماعها.

ومن هنا نتعلم الدرس الإيماني العظيم الذي تركناه في حياتنا. الدرس الذي أَقره كتاب الله وسنة رسول الله: اجتناب الظنّ والتزام التبينُّ. والمؤمن أَولى من غيره بهذا وأَجدر باتباعه، وأَقدر على تحقيق منفعته وبركته.

إن رسم النهج أَو وضع الخطة يقوم على أَساس الإيمان الصادق، والعلم الصادق بمنهاج الله، والعلم الصادق بالواقع والخبرة والممارسة الإيمانية. فحين يتحوّل العلمُ إلى ظنون وأوهام تفسد الخطة ويضيع النهج وتغيب الأَهداف. وكلّ علم صادق يقوم على جهد ومعاناة، ومؤسسات وأَجهزة، وبذل وعطاء، ليُكوِّن هذا كله جزءاً لا يتجزّأ من الجهاد في سبيل الله.

الباب الرابع

دروس وعبر

دروس وعـــبـــــر

في الجهاد الأَفغاني دروس واسعة وعبر قوية. وفي كل ديار المسلمين وثبة وجهاد، ودروس وعبر. ولكن الجهاد الأَفغانيّ تميّز بأَنه حقق نصراً لم تتوقعه السياسة الدولية، ولم تتـوقعـه الشعـوب كذلـك. وحقق الجهـادُ النصرَ بفضل من الله ورحمة، من خلال مشكلات اجتماعية قائمة في واقعه، وتخلّف ماديٍّ ظاهر، وضعف إمكانات. فجاءت العبرة الأُولى والدرس الأَعظم للأَفغانيين وللمسلمين وللناس عامة لتقول إن النصر من عند الله وحده، هو ينصر من يشاء.

﴿**وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم**﴾. (الأَنفال: ١٠)

﴿**يـا أَيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أَقدامكم. والذين كفروا فتعساً لهم وأَضل أَعمالهم**﴾. (محمد: ٧ ، ٨)

نعم! إن تنصروا الله ينصركم! هذه هي الحقيقـة الكبيرة التي يجب أَن يعيشها المسلمون في الأَرض كلها، في أَفغانستان وخارجها، أَفراداً وجماعات، أَحزاباً ودولاً.

ونصرُ الله ليس بالتمتمات، ولا بالتوقف في الطاعات عند الصلاة والصيام. فإن الشعائر التعبدّية أَمر بها الله حتى تمتدَّ حقيقتها في حياة المسلمين كُلها، وفي ميادين ممارساتهم كلها. إن أَساس ذلك هو «التوحيد» وصفاؤه، وقوته ويقينه. فإن «التوحيد» هو مفتاح كل خير وسبيل كل نصر، وباب كل قوة، وقاعدة كل نهج وتخطيط، وجوهر كل تفكر سليم.

و«نصر الله»، كما تعنيه الآية الكريمة أَعلاه، يشمل الوفاء بعهد الله، العهد الذي أَخـذه الله من بني آدم كلهم، وأَكـدَّه مع كل الشعـوب والأَقـوام، ومع كُلِّ الرسل والأَنبياء. العهد بكل شروطه التي بسطها منهاج الله ـ قرآناً وسنة ـ.

«**إن تنصروا الله. . . .**» تعني في جملة ما تعنيه سلامـة الإعـداد حتى يستوعب الإعداد جهدك وطاقتك، ثمَّ تمضي في جهادك طاعة لله على نهج مدروس وخطة واعية، تقوم على منهاج الله والواقع الذي تعمل فيه. فَهمُا أَمران إذن متلازمان:

سلامة الإعداد وسلامة النهج. أمران متلازمان ليكوِّنا جزءاً من المهمة المفروضة والمسئولية الممتـدة والأمانة القائمة. إعداد ونهج يستوعبان طاقة المؤمنين. ونأمل أن يكون الجهاد الأفغاني قد استوعب طاقته في الإعداد والخُطَّة إن شاء الله، ثمّ مضى متوكلاً على الله، وحسابه عند الله، ندعو الله أن يكون أجراً وثواباً عظيماً.

«**إن تنصروا الله. . . .**» ليست مهمةً مرحلية تقف بعد تحقيق هدف أو أهداف. إنها مهمة ممتدة امتداد العمر والحياة، وامتداد العصور والأجيال، ليظل المؤمن ينصر ربَّـه نصراً ممتـداً لا يتوقف، ولا يعطله ما يمر به المؤمن أو المؤمنون من بلاء وابتلاء وتمحيص. فسيمحِّص الله المؤمنين دائماً قبل أن يرزقهم النصر، حتى ينكشف الحق وتقوم الحجة لك أو عليك.

«**إن تنصروا الله. . . .**» مهمّة تقضي بنهج محدَّد، معالمه واضحة وأُسسه واضحة في التعـامل مع المؤمنين والكافرين والمشركين والمنافقين، ومع الناس جميعاً، حتى لا تطغى الأحلاف الوطنّية على روابط الإيمان، ولا تنهض عصبيات القومية والإقليمية في طِلاء الإسلام وأصباغه، ولا تبرز المصالح والعلاقات التابعة لها لتطغى على مصلحة الإيمان وحق الإسـلام. إنها مهمـة خطيرة، وقضية أسـاسية. فكم تورّط المسلمون بأحلاف تصوغها العصبيات الجاهلية، وتبنيها المصالح الدنيوية، ولكنها تحمل شعار الإسـلام وأصباغاً منه. ثم لم يجنوا منها إلا خَسَاراً وتباراً. وكم غلبت أرحام الشرك وقربى المنافقين وأُخوة الدار وعمومة الجوار وأبوة الأصهار على وضاءة روابط الإيمان، حتى اختلطت المفاهيم واضطربت التصورات.

وهنا برز الجهاد الأفغاني يرفع راية واحدة هي راية الإسلام، وشعاراً واحداً هو الإيمان، ورابطةً واحدة هي الإسلام. وكانت حقيقة معركته أفغاني مؤمن مع أفغانيٍّ كافرٍ أو مشركٍ أو منافقٍ أو مراوغ. ومن هذه الحقيقة كسبوا خطوة هامة في تحقيق أسباب النصر، وتحقيق معنى من معاني التوحيد والإيمان، معنى غاب طويلاً عن واقعنا الإسلامي.

إن حقيقة الواقع تضم الكافرين والمنافقين، ولابد من أن يعيَ المؤمن كيف يتعامل مع هؤلاء وهؤلاء، وكيف يتعامل مع المؤمنين. ومهما يكن التعامل ومهما تكن الموازنة فلا

يحل الإخلال بقاعدة راسخة من قواعد الإيمان. إن الذكاء وحسن المناورة ضروري في الساحة السياسية، ولكن الغدر والخداع والغش شيء آخر. ويدفع المؤمن غدر العدو وغشَّه وخداعَه بالحذر والوعي، وبالدعوة الواضحة إلى الله ورسوله، وبالتخطيط والنهج، وبالكتمان والتنظيم، وبالصف المؤمن الواحد. ولكنه لا يغدر غدر المنافقين ولا يغشُّ غُشَّ الفاسقين.

مهما تكن موازنة التعامل فلا موالاة لمشرك أو كافر أو منافق. فلا بد من المفاصلة الحازمة البينة في الولاء. ولا ودَّ لمن حاد الله ورسوله، ولمن يبدل كل يوم رايةً وموقفاً. ولايكون الودُّ أحياناً إلا في ميدان الدعوة والبلاغ، حين يستجيب لك ولدعوتك بعضهم، حين يسمع وينصت ويفكر ويتدبَّر، وأنت تدعو إلى دين الله، تقرع القلوب الغُلف، وتفتح الآذان والصدور، وتلينّ بنهجك الصمَّ الصلاد. هناك يقوم الود الذي يجتذب القلوب وأنت تدعو، لاحين ترى الرؤوس تتطاير، والمساومات السياسية المجرَّدة تدور، والمصالح والشهوات تثور، ولا في ميدان قتال حيث يكون الولاء الحاسم والمودة الفاصلة.

إن التوحيد الصادق، التوحيد القرآني، التوحيد الذي يحمل التصور الكامل من كتاب الله وسنة رسوله، ومن الفطرة النقية السليمة، هذا التوحيد هو الذي ينظم الموازنة في المواقف كلها، ويوجه السلوك، ويجدِّد الاتجاه، ويقطع العلاقات ويَبْنِيها.

هذه هي قضيتنا الأولى اليوم، في واقعنا الإسلامي كله، حيث شُوِّهت الفطرة، وجفّ العلم بمنهاج الله، فاضطرب التصور الإيماني، واختلطت معاني التوحيد. هذه هي قضيتنا الأولى اليوم، وهي مفتاح حل قضايانا الأخرى. فإليها يجب أن تنصب الجهود لبناء الجيل المؤمن الذي يحمل خصائص الإيمان والتوحيد متناسقة متكاملة، فإذا الرؤية تصفو، والحقائقُ تُجْلى، والموازنة تصبح أكثر أمانة وعدالة، وتعود الروابط الإيمانية بين المسلمين في الأرض لا يقطعها بغضاء ولا شحناء.

لقد استطاع المجاهدون الأفغان أن يتجاوزوا مع أول الطريق خلافاتهم، فقام التحالف الإسلامي بين المنظمات الإسلامية ليحقق معنى كذلك لم يتحقق في كثير من ديار المسلمين. والحقيقة أن التراصَّ يجب أن يكون أشد والتلاحم أقوى، لتبرز الأمة

الواحدة حقيقةً في واقعنا اليوم، مهما كانت صغيرة أو ضعيفة. إن الأمة الواحدة لاتبرز بالجنسية والقومية والتنافس على الدنيا، ولكنها تبرز بالنهج الصادق الذي يجمع حقيقة المؤمنين وجوهر الصادقين.

﴿إن الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾.
(الصف: ٤)

مِيلُوا «لِكَابُولَ» صَفّاً لا يُمزِّقُهُ هوىً عَلى فِرَقٍ شَتَّى وَلاَ قِدَدِ
صَفّاً إلى اللهِ مَرْصُوصاً دَعَائِمُهُ تَقْوى تُثَبِّتُ مِنْ أُسٍّ ومِنْ عُمُدِ
أما سَمِعْتُمْ نِداءً مِنْ مَآذِنِها اللهُ أَكْبَرُ مَنْ يَصْدُقْ بِهِ يَرِدِ[1]

واستطاعوا كذلك أن يعقدوا مجلس الشورى، وأن يعلنوا حكومتهم المؤقتة، ليحققوا بذلك مسيرة كريمة ندعو الله أن تمتدَّ قوة وثباتاً، ليتعلم المؤمنون معاني غابت، وقواعد طويت، في واقع كثر فيه الضباب والعتمة والظلام.

استطاعوا أن ينجحوا في مفاوضاتهم السياسية، وأن يحافظوا على مستواهم وكرامتهم، وعلى كرامة دينهم وعقيدتهم، ذلك كله لأنهم دخلوها باسم الله متوكلين على الله، يرفعون راية واحدة، لأمة واحدة، وقد صدقوا الله في الميدان والواقع، وقدموا الضحايا والفداء والمال والجهد، بذلوا لله بذلاً سخيّاً.

لقد استفادوا من مواقف سياسية كثيرة دون أن يلوّثوا أنفسهم بالتنازل بعد التنازل، والهبوط بعد الهبوط. لقد ظلت المواقف السياسية على نفس المستوى والارتفاع الذي بلغته المواقف العسكرية. وظلت المواقف العسكرية تدعم الموقف السياسي، والموقف السياسي يدعم الموقف العسكري، وفي كليهما شرف ورجولة، وصدق واستقامة، ليرى العالم كله جوهر الإسلام وعظمته في مواقف العزة والنصر.

ولا تسهل المقارنة بين قضية فلسطين وقضية أفغانستان. ولكن تبرز بعض الحقائق التي لايمكن إغفالها أبداً. فالمجاهدون الأفغان من أول الطريق مارسوا الجهاد الميداني والسياسي بصورته العملية التطبيقية، ورفعوا لهذا الجهاد راية واحدة وشعاراً واحداً

(١) من قصيدة على أبواب كابل، كما سترد كلها في هذا الكتاب

وربما رفع الكثيرون شعارات مختلفة ولكنها بقيت تبحث عن حقيقتها التائهة في الواقع والميدان. وهذا الالتزام من المجاهدين الأفغان في ميدان الممارسة والتطبيق وفي الراية والشعار، وفّر لهم رصيداً كبيراً ساهم بفضل من الله في دفع مسيرة الجهاد.

وأمر آخر يسّره الله بفضله ورحمته، وحكمته الغالبة، ذلك أن جعل من أفغانستان منطقة يدور فيها شكل من أشكال الصراع بين القوى الدولية المؤثرة، فاستطاع المجاهدون الأفغان أن يستفيدوا من الصراع الدولي على صورة توفّر الدعم والقوة للجهاد الأفغاني في صراعه مع الغزاة السوفيت. أما في فلسطين فقد سبقت كلمة الله لتكون أرض فلسطين في هذه المرحلة من التاريخ منطقة لقاء المصالح بين القوى المتصارعة، لقاءً وفّر الدعم الدوليّ الواسع لليهود، ووفّر الحماية البالغة لكيانهم، على صورة مذهلة من الإجماع، وعلى صورة فيها ابتلاء كبير للمسلمين.

ومعركة أفغانستان تكشف لنا ضعفاً آخر يعاني منه العالم الإسلامي. فقد كانت أفغانستان في حقيقة أمرها تصارع وحدها بالرغم من توافر عدد من المجاهدين العرب، وبالرغم من الدعم العربي الذي لم يرق إلى مستوى يمثّل الأمة المسلمة الواحدة في ميدان المعركة. وإذا نظرت إلى واقع العالم الإسلامي رأيت هذه الصورة المؤلمة تتكرر هنا وهناك، حيث يخوض كل قطر معركته وحده معزولاً عزلاً كاملاً عن أمته المسلمة الواحدة. بل كان الأمر أسوأ من ذلك. لقد أصبح المسلمون هم أنفسهم يكرسون الحدود الفاصلة بين قطر وقطر، حتى امتدت روح العزلة والانفصال إلى الفكر والأدب والاقتصاد والسياسة، وحتى أصبح كل قطر يرى عزته في حدوده. فإذا ما أصابته مصيبة العدوان تصدّى لها فإذا هو أضعف من أن يقف وحده أمام صفٍّ متراصٍّ من الأعداء، وأمام نهج موحَّد من التآمر. انظر إلى المعركة الدائرة في الفلبين، وفي كل قطر عربي، وفي الأقطار المسلمة في أفريقيا، وفي جنوب شرق آسيا، انظر هنا وهناك لترى الصورة تتكرر، والمأساة تمتد، لايوحّد بين هذه الأقطار إلا الدم النازف، والأنّة المجروحة، والصرخة المدوية، والهلاك المقبل. طوفان يكاد يجتاح الأرض المسلمة كلها، والمسلمون غارقون في فرقة وعزلة وتمزّق.

ومع أن مخطط الأعداء ليس بجديد، ولكنه قديم في التاريخ. إنه مخطط يحارب رسالة الله في الأرض، مخطط أخذ يشتدُّ مع انطلاق رسالة محمد ﷺ، حتى أصبح من

الضروريَّ أن يكـون المسلمـون قد أخـذوا حظاً وفـيراً وخـبرة واسعة في قهر مكائد الأعداء، وقد فصَّل القرآن الكريم ذلك تفصيلاً. وامتد هذا الكيد الرهيب في العصر الحديث يجمع خبرة مئات السنين. وإذا تابعنا مسلسل هذا الكيد رأينا صورة مفزعة مرعبة: سقطت الأندلس على مذابح ومجازر تقودها محاكم التفتيش في عمليات إبادة وسحق وحشي. ثم تسقط أنـدونيسيا في يد هولنـدا بعـد قرنـين ونصف من سقوط الأنـدلس. ثم هجـوم على ماليزيا وجنوب شرق آسيا. وتحتل فرنسا الجزائر وتونس والسنغـال والنيجـر وساحل العاج خلال القرن التاسع عشر. وفي الفترة ذاتها تحتل انجلترا السند المسلمة وتقضي على دولة المغول في الهند، وتحتل عدن، وتقيم الحماية على البحرين ومسقط وعمان والكويت، وتحتل مصر والسودان. وفي نفس الفترة تحتل روسيا القوقار وطشقند وسمرقند وبخارى وأوزبكستان وخوكند وغيرها، وتحتل إيطاليا ليبيـا. وإذا بهذا الاحتلال العسكري يمثِّل طوقاً يحيط بالعالم الإسلامي ليخنقه. وكان يرافق هذا الغزو فساد فكري واجتماعي واقتصادي، ونهب لثروات البلاد وخيراتها، وإذلال لشعوبها، ومكر ممتدٌ يهدف إلى اقتسام البقية الباقية من أرض الإسلام، ويهدف كذلك إلى إسقـاط الخـلافـة الإسلامية. ولقد مضى هذا الكيد والمكر والمسلمون في غفلة وجهل. وأهم مظاهر الغفلة والجهل غياب منهاج الله عن حياة المسلمين، وعدم فهم الواقع الذي يحيط بهم، والإغراق تبعاً لذلك في البدع والخرافات، والجري اللاهث وراء الأهواء ومصالح الدنيا.

فاقتسم الأعداء بلاد الشام والعراق، ودخل اليهود فلسطين، تحملهم إليها القوى الدولية كلها متكاتفة في حمايتها. وجابة المسلمون هذا الواقع في ذهول وارتباك. كم أسلموا قيادهم قبل ذلك لأعدائهم، ثم هؤلاء الأعداء يفتكون ويقتلون دون رحمة، تاركين وراء ظهورهم أو تحت أقدامهم كل المواثيق التي زيفوها والعهود التي خانوها، ولات ساعة مندم. وظهرت قضية فلسطين!. وظهرت سائر قضايا العالم الأسلامي الثائرة الآن![1]

---

(١) كتـاب العهـد والبيعـة وواقعنا المعاصر للمؤلف، الباب الثاني ـ الفصل الأول ـ الفقرة (٥). الغارة على العالم الإسلامي، تفصيل أوسع.

وتمزّق العالم الإسلامي أقطاراً متناثرة. وأصبح كل قطر يجابه واقعه الجديد مستقلاً بذاتـه، يحسب أنـه يقوى على ردّ كيد الأعداء وحده، وشُغِل كل قطر بنفسه، على خلافات وشقاق وتدابر:

رَمَاهُمُ الخُلْفُ حَتَّى شَقَّهَمْ فِرَقاً ... وأَطلقَ الشرَّ واسْتَشْرى بِهِمْ عَفَنا
تَقَاسَمُوهَا حُدُوداً غَيْرَ آمِنَةٍ ... فما اسْتَقَرَّ فَتىً فيها وَمَا أَمِنا
كُلٌّ يُغَنِّي هَوَى رَبْعٍ أَقام به ... ويحسبُ المجْدَ في أَفيائِهِ قَطَنا
وظنَّ كُلُّ دعيٍّ أَنَّ عُصْبَتَهُ ... تَكْفِيهِ إِن مَالَ شَرٌّ نحْوَهُ ودَنا
فقَطَّعُوا رَحِماً أَو مَزَّقوا سَبَباً ... وضيَّعُوا جَولَةً أَو أَغلقُوا أُذُنا
رَضُوا بما قَسَّم الأَعداء مِنْ قِطَعٍ ... رضاً يُثبِّت فيها الذُلَّ والوَهَنَا
كُلٌّ يُقيم عَلَى أَهْوَائِهِ وَثَناً ... وَيَجْعَلُ الشَّوقَ مِنْ أَوهَامِهِ وثَنَاً
لو كَانَ يَعْلَمُ قَوْمِي مَا مُصِيْبَتُهُمْ ... لأَرْخَصُوا دُونَهَا الأَرواحَ والبَدَنا[1]

من خلال هذا الواقع وعلى أساس من منهاج الله، يجب أن ينهض المسلمون في الأرض كلهم ليضعـوا النهـج والخُـطّة عن وعي وتـدبّـر، وإيمان وعلم. إن معـركة أفغانستان نفسها، مع مراحلها المختلفة التي مَرَّت بها، والتي ستمر بها، تقدم لنا أُسساً هامة في التصور والنهج.

لابد من وقفة هادئة، نترك فيها كل أساليب الضلال والتضليل، وكل محاولات التغطية والتهويش، لنعرض الحقائق ونضع الأرقام، واثقين بالله مهما ادلهمّت الليالي. لابُدَّ من أن نصدق الله، ونصدق مع أنفسنا، ونصدق مع شعوبنا، حتى تصبح الرؤية سليمة أمينة واحدة. لابد من أن ندع الخداع والمخادعة، والغشّ والتزوير حتى تبرز الحقائق جلية واضحة في تحليل واحد وتقدير واحد، يقوم كله على أساس منهاج الله وفهم الواقع من خلال منهاج الله.

ثم يمضي التخـطيط والنهـج لبنـاء الأُمـة المسلمـة الـواحـدة، في صفٍّ واحد

(١) من قصيدة هوى وهوان للمؤلف.

مرصوص، يجمعه الحق والإيمان، خاضعاً لمنهاج الله عن إيمان وعلم وتدبّر. هذه الأُمة المسلمة الواحدة تشق الطريق إلى النصر! وبغير قيامها سيكون كل ما يبدو لنا نصراً لايعدو أَن يكون زخرفاً سرعان ما يزول. فما النصر إلا من عند الله، والله لا يعطي نصره إلا لمن أَوفى بعهده!

وحتى تقوم الأُمة المسلمة الواحدة في الأَرض فلابد من قيام الجهد البشريّ المؤمن الصادق الذي يستحق في ميزان الله أَن يهبه الله هذه النعمة العظيمة. ولابُدَّ لهذا الجهد البشريِّ المؤمن أَن يبذل البذل الصادق الأَمين، ولابد أَن يُمحَّص من خلال سنن الله تمحيصاً شديداً ليميز الله الخبيث من الطيب.

قد لا نوفي الجهاد الأَفغانيّ حقّه من التقدير. ولكن هذا لايمنع أَن ننصح كذلك ونذكّر، ونشير إلى أَخطر ما يمكن أَن يُهدِّد مسيرة الجهاد الأَفغاني.

إن الجهاد الأَفغاني لا يجاهد ضد عدّو خارجي فقط. ولكنه يجاهد أَيضاً ضد أَعداء داخليين ظاهرين ومختفين. إنهم أَعداء كثيرون: فمنهم الكافرون الذين يعلنون كفرهم وإلحادهم وحربهم لله ولرسوله. ومنهم المنافقون الذين يعملون في عتمات الليل يحوكون المؤامـرات والـدواهي. ومنهم الأَعداء المتسللون من قوى الكفر والشرك تحت غطاء إنساني أو نشاط تنصيري، أو نشاط واسع لنشر الفاحشة والفتنة والفساد. ومن أعدائه كذلك الجهل الواسع والفقر والمرض. ولكنّ أخطر هذه الأَعداء ما برز من فرقة وخلاف بين فصائل المجاهدين. ولقد كان هذا الخلاف يكشف بين الحين والآخر عن بعض نواحي الضعف الأُخرى. وكان يكشف في الوقت نفسه عن قدرة على معالجة المواقف بالحكمة، وبمحاولة ردّ الأُمور إلى منهاج الله.

إن العـدو الخـارجي ليس واحـداً. ولكنه صف الكافرين والمشركين والمجرمين والمفسـدين والظالمين في الأَرض، على ضوء ما بيّناه في الصفحات السابقة. والعدو الخارجي يستفيد في معركته ضد الجهاد الأَفغاني من كل منافذ الضعف وأَكثر ما يستفيد منه الفرقة والخلاف، والجهل والهوى. فإلى هناك يجب أَن تتجه القلوب والعزائم لتَسُدَّ هذه الثغرات كلها. لقد تسلل الأَعداء من هذه الثغرات فكانت حادثة «فرخار» في ولاية «تخار» حسب ماعرضناه سابقاً. ومنها تسلل ليغتال عدداً من رجال الجهاد وقادته،

وليغتال الشيخ عبد الله عزام، ومنها تسلل ليغتال الشيخ جميل الرحمن. فتنة بعد فتنة يحرّكهـا المجـرمـون ليمزّقوا جهاد المؤمنين. وأعظم سلاح يقضي على هذه الفتن هو الصدق مع الله وصفاء الإيمان وإخلاص التوحيد لله سبحانه وتعالى.

ولا ننكـر أن في الواقع الإسلامي كله أمراضاً فتاكة انعكست آثارها على جميع قضايا السياسية في العالم الإسلامي، وعلى الجهاد الأفغاني وقضية فلسطين خاصة.

ولا نعتقد أنه من الحق، أو أنه من القصور الإيماني السليم، أن ينهض لكل قضية شعبها المعزول وحده، ليقابل الصفّ المتراص الواحد من أعداء الله. وإذا رأى بعضهم أن الأصل أن ينهض كل شعب وحده ليجابه قضيته وليكون الجهاد فرض عين عليه، وفرض كفاية على من حوله من المسلمين، إذا كان هنالك من يرى ذلك، فلابدّ إذن أن نوضح أنه لو صحّ هذا القول فإنه يصحّ حين يكون الشعب الواحد قادراً على مجابهة قضيته وحده، أو بمساعدات تمثل فرض كفاية. ولكن الشعب الواحد اليوم ظهر أنه لا يقوى على مجابهة القضية وحده، وأنه أعجز من يجابه السياسة الدولية كلها وحده، حتى أصبحت ديار المسلمين كلها واحدة واحدة مهددة بخطر داهم وطوفان جارف.

يضاف إلى ذلك أننا نؤمن بأن المسئوليَّة فرضٌ على الأمة كلها، وفرض على كل مسلم. ولكن قد يختلف نوع المسئولية وشكلها من شخص لآخر، ومن شعب لآخر، حسب ما تقضي به خُطة الأمة كلها، ونهجها الواحد، ومسئوليتها الواحدة. فقد تقضي الخُطة أن يقوم هذا الفريق بصنع الغذاء وهذا بصنع اللباس وهذا بأعمال أخرى تتحدّد حسب منهـاج الله قرآناً وسنة، وحسب الواقع القائم الذي نعمل فيه. ولكن الخطة تجعـل من الأمـة كلهـا، من جميع طاقـاتهـا الفكرية والأدبية والسياسية والعسكرية والاجتماعية وغيرها، منها كلها طاقات تصبّ في مجرى واحد لأمة واحدة، تعبد ربّاً واحداً، ويحكمها كلها منهاج الله. إن الجهاد لا يكون هنا فرض عين وهناك فرض كفاية إلا بمقدار ما ترسمه الخُطة العملية للأمة، الخطة القائمة على منهاج الله والواقع الذي نفهمه من خلال منهاج الله، ومن خلال إيمان صاف وتوحيد صادق لا تعصف بهما الأهواء.

لقد اتفقت أمريكا والسوفيات على إيقاف إمداد أيّ من الأطراف في أفغانستان

بالسّلاح قبـل نهاية العام الجاري، وعلى إجراء انتخابات حرّة تحت إشراف دولي. وأعلن هذا الاتفاق وزيرا خارجية الدولتين أمريكا والسوفيات: جيمس بيكر وبوريس بانكين في حدود ٦ ربيع الأول ١٤١٢هـ الموافق ١٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٩١م.

وأكد البيان المشترك ضرورة إيجاد تسوية سلمية سياسية تكفل استقلال أفغانستان واستقلالها والسلام مع جيرانها. . . . ! ونشطت السياسة الدولية في هذا الاتجاه.

هكذا يلتقون في جبهة واحدة ينضم إليها كل أعداء الله من مشركين ومنافقين وضعفاء وغيرهم، يحسبون أن المدد منهم وحدهم، وينسون الله رب العالمين، وينسون أن المدد الحق من عنده، وأن النصر منه وحده.

ولقد سبق أن أعلن الجهاد الأفغاني رفضه لمشروع الأمم المتحدة الذي طرحه الأمين العام بيريز ديكويلار. ولقد أعلن هذا الرفض الاستاذ الشيخ عبد رب الرسول سياف رئيس وزراء الحكومة الانتقالية.

كما أعلن المجاهدون رفضهم لعرض كابول الذي قدمه نجيب الله. . وأعلن هذا الرفض الاستاذ الشيخ برهان الدين رباني وزير الخارجية.

مع صمود الجهاد الأفغاني أمام جميع هذه التحدّيات لابد أن يستيقظ المسلمون، وأن يعوا ما يحاك لهم في ظلام الليل وفي وضح النهار.

وتنشط السياسـة الـدولية في هذا الاتجاه السياسي في قضية أفغانستان على غير مصلحة المسلمين. وفي الوقت نفسه تنشط السياسة الدولية في قضية فلسطين على غير مصلحة المسلمين ضاربة عرض الحائط بحقوقهم.

من أجل ذلك نرى أن لقاء الصادقين، لقاء المؤمنين في الأرض، أصبح فرض عين، وأصبح جليّاً أنه واجب لا غناء عنه، واجب اليوم كما هو واجب شرعي في كل عصر. وهو في حقيقته محك اليقين والإيمان، وتمحيص التوحيد والممارسة.

من أجل ذلك، ولتكون دراسة واقعنا مجدية في خدمة الدعوة الإسلامية، وليصبح الأدب والفكر يخدمان قضية واحدة، هي قضية الإيمان والتوحيد في الأرض، قضية الإسلام، من أجل ذلك نقدِّم أربعة أسس نراها هي الأسس التي يقوم عليها لقاء

المؤمنين. ونوجز في هذه العجالة الأسس الأربعة بالنقاط التالية[1]

١ ـ **الإيمان والتوحيد**: لتصحيح التصور الإيماني على أساس الكتاب والسنة، ولتنقيته من شوائب الدنيا وفساد الأهواء. وكذلك ليكون الإيمان والتوحيد هما الهدف الأول في حياة المؤمن وفي الدعوة الإسلامية، لتنطلق الجهود تبلغ الناس في الأرض رسالة الله ودين الإسلام، بدلاً من التنافس على إبلاغ الناس مصالحنا وأهواءنا وخلافاتنا. وكذلك ليصبح الإيمان والتوحيد يوجهان جوهر الممارسة الإيمانية في جميع ميادين الحياة.

٢ ـ **المنهاج الرباني، قرآناً وسنة ولغة عربية**: ليكون المنهاج الرباني هو أساس العلم، وأساس البناء والإعداد، وأساس التصور الإيماني والتوحيد. وكذلك ليؤدي منهاج الله الدور الذي أداه أول مرة في بناء الأمة المسلمة في حياة الرسول ﷺ. ولذلك نرى أن يأخذ منه كل مسلم أخذاً منهجياً، كل على قدر وسعه وطاقته، صحبة عمر وحياة، من خلال خطة مدروسة ومنهج عملي، وليظل منهاج الله هو النبع الصافي الغني الذي يمدُّ الإيمان ويغذيه وينميه.

٣ ـ **الواقع**: نعرض دراسة الواقع بكل شمولها لتكون هذه الدراسة جزءاً لا ينفصل من الأسس الأربعة لنظرية العمل الإسلامي والدعوة الإسلامية: ولتكون دراسة الواقع دراسة منهجيّة تنمو وتتطور مع الزمن. ولتكون الدراسة والمنهج خاضعين لمنهاج الله، قائمين عليه، نابعين منه. وكذلك لتوفّر دراسة الواقع التصوّر الإيماني الموحّد للقضايا الإسلامية، حتى تساهم هذه الدراسة في تغذية الإيمان والعلم، وتوفير فرصة التعاون والتنسيق لطاقات الأمة المسلمة، ولتوفير الحذر اللازم والوعي المطلوب.

٤ ـ **ممارسة منهاجُ الله في الواقع البشري والتدريب على ذلك**: إن ممارسة منهاج الله في الواقع البشري تمثل حقيقة الممارسة الإيمانية والعمل الصالح. ولابد أن يكون من أهم مسئوليات الدعوة الإسلامية تدريب المسلم على تطبيق قواعد الإيمان في مختلف ميادين الحياة. إن التدريب والإعداد أساس هام لا ينحصر في ميدان واحد، ولكنه يمتد إلى سائر الميادين. فكما يحتاج المسلم إلى أن يتدرب على الزناد، فإنه يحتاج إلى أن

---

(١) يمكن الرجوع إلى كتاب الصحوة الإسلامية للمؤلف لأخذ تفاصيل أوسع.

يتدرب على حسن الموازنة، وعلى حرية الرأي وحدودها، وعلى الشورى وقواعدها الربانية، وعلى الصدق وكظم الغيظ وعدم الخوض في الغيبة والنميمة والافتراء والظلم، وأن يتدرب المسلم كذلك على النصيحة الأمينة، على إعطائها وعلى تقبلها. وبصورة عامة على رد الأمور إلى منهاج الله. ولابد أن يخضع التدريب والإعداد على خطة ونهج تتجدد فيه الوسائل والأساليب والأهداف، لتقوم الأخوة الصادقة في الله.

على هذه الأسس الأربعة يجب أن يقوم النهج والتخطيط: على صدق نيّة، وتفاصيل درب، ووضوح أهداف. عندئذ نجد القلوب ائتلفت، والسواعد التقت على برّ وتقوى، وطاعة لله وجهاد في سبيله. وعلى هذه الأسس كلها يقوم التصور السياسي لقضايانا كلها، وتتحدد المواقف والاتجاهات، وتقوم العلاقات والروابط.

منذ زمن طويل وقضايانا تسير على أسس إقليمية أو قومية، حتى ولو حملت شعاراً إسلامياً. وبناء الأمة المسلمة يغرس في النفوس التصور الإيماني ويدفعه إلى حيّز الواقع، لتأخذ قضايا السياسة تصوّرها الإيماني شعاراً وممارسة حيّة في الواقع، ممارسة ممتدّة امتداد الإيمان، ليساهم هذا كله في بناء الأمة المسلمة الواحدة.

الباب الخامس

الملحمة الشعرية

تقديـــم

بســـم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1]:

أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أحمده وأستغفره وأتوب إليه، وأبرأ إلى الله من الشرك كله، وأتوب من الذنب كله جلّه ودقّه، واستعين به، وأعوذ به والتجيء إليه وحده، إلى حماه، حمىً قويٍّ أمين، وركن متين، من التجأ إليه فقد نجا، ومن تركه فقد هوى.

اللّهُم إنـا نحمدك حمداً كثيراً، نُقِرُّ بنعمائك وفضلك **﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها. . .﴾**، ونثني عليك الثناء كله، لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

ونصـلّي أفضـل الصلاة ونسلّم أطيب السلام على عبدك ورسولك محمد ﷺ، المصطفى من عبادك، القائد إلى يوم الدين، بعثته رحمة للخلق، اللّهم صلِّ على عبدك ورسولك محمد وسلِّمْ عليه تسليماً كثيراً، وعلى آله وصحبه ومن اتبعه واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

اللّهُم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، وحسن الجهاد في سبيلك، والنيّة الصادقة الخالصة في العمل كله، ونعوذ بك من ضرّاء مضرّة، وفتنة مضلّة اللهم زيّنا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهديين.

﴿يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾.
(آل عمران: ١٠٢)

﴿إن الله يحب الذين يقتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾.
(الصف: ٤)

---

(١) القيت هذه الكلمة في الندوة عن أفغانستان في فرانكفورت بألمانيا.

﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾. (الحج: ٧٨)

﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾. (التوبة: ١١١)

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سُئِل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حميّة ويقاتل رياءً، أيّ ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله». (رواه الخمسة)[1]

آيات بينّات، وسنّة نبوية جلية، ومنهاج ربانّي متكامل متناسق، حجة بيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

وبعد، فإني أشكر الإخوة المؤمنين الذين تفضلوا بإقامة هذا المهرجان الكريم، وأشكر كل مؤمن لبّى وأجاب، وأشكر الحفل الكريم كله، سائلاً الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا عملنا، وأن يهبنا جميعاً صدق النيّة، وصدق الكلمة، وصدق العمل.

ومن دواعي البهجـة والفرحة للمؤمن أن يشارك ولو بالكلمة والجهد البسيط في ميدان واسـع، وساحة ممتدّة، تموج فيها بطولات الإيمان، وجولات الدم والشهادة، وإشراقة الرأي والتدبير. والكلمة المؤمنة الواعية، الكلمة الطيبة، الكلمة التي يرضى عنها الله سبحانه وتعالى، هي باب من أبواب الجهاد إذا استوفت خصائصها الإيمانية، وهي عطاء لا غناء عنهُ في ملحمة الإسلام، حين تكون جزءاً من نهج متناسق، وخطوة

---

(١) البخـاري: كتاب الجهاد والسير (٥٦). باب (١٥) وباب من قاتل للمغنم، وفي كتاب العلم (٣) وفي كتاب التوحيد (٩٧). مسلم: كتاب الإمارة (٣٣). باب (٤٢) حديث (١٩٠٤). والترمذي: كتاب فضائل الجهاد (٢٣). باب (١٦) حديث (١٦٤٦). والنسـائي: كتـاب الجهاد (٢٥)، باب (٢٢) حديث (٣١٣٦). وابن ماجة: الجهاد (١٩)، باب النيّة (١٣) حديث (٢٨١٠) واللفظ لمسلم والترمذي وابن ماجة.

في مسيرة مترابطة، ووثبة في خطة محكمة. فهكذا كانت كلمة النبوة في أعلى درجات البيان، وهكذا كانت كلمة الصحابة رضي الله عنهم، نثراً وشعراً، تخرج من الميدان مضمخة بالمسك، مَرْوّية بالبذل والعرق والجهد، ممتدة في سعي كريم ونهج إيماني واع، زكية نقيةٍ في سبيل الله. هكذا كان شعر عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وجعفر بن أبي طالب وغيرهم من الصحابة، وهكذا كانت كلمات المنابر، منابر ميدان، ودعوة عقيدة.

عن كعب بن مالك رضي الله عنه، أنه قال للنبي ﷺ: إن الله عزَّ وجلَّ أنزل في الشعراء ما أنزل. فقال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه. والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل». (أخرجه أحمد)[1]

هكذا يمتدّ الجهاد في الإسلام مع جميع الميادين والساحات. فهو جهاد في النيّة والنفس، وهو جهاد بالدعوة والبلاغ، والتربية والبناء، وهو جهاد بالكلمة وهو جهاد بالمال والنفس، وهو جهاد في كل ميدان:

فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «جَاهِدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم». (أخرجه أبو داود)[2]

ومع امتداد الميادين والساحات، فإنها تظل مترابطة متماسكة في خطة إيمانية ونهج رباني. وبدون هذا التماسك يفقد كل ميدان شيئاً من قوته وعطائه.

وإذا كان الجهاد في الإسلام يمتد هذا الامتداد في الميادين، فإنه يمتدّ كذلك في الأرض. فحيثما قلبت نظرك وجدت هنا وهناك معركة من معارك الإسلام وجولة من جولاتـه: فلسطين، لبنان، وغيرهما، ارتيريا والصومال وغيرهما في إفريقيا، الفلبين، الهند. ويمضي الامتداد إلى كل نواحي الأرض سلاحاً ونفساً وكلمة. وحتى يعطي هذا الامتداد جدواه، ويغني بثماره، فلا بد من أن تتماسك كلمة الإسلام فيه، حتى لا يكون قطعاً متفرّقة، يأكلها أعداء الله قطعة قطعة.

---

(١) الفتح الرباني جـ ١٩ باب ما جاء في الشعر الممدوح لمصلحة شرعية. حديث (٧٦).

(٢) سنن أبي داود: كتاب الجهاد (٩). باب (١٨). حديث (٢٥٠٤).

ولون آخر من ألوان الامتداد في الجهاد الإسلامي، امتداد مع الزمن. فقد مضى الجهاد مع أول رسالة من الله لعباده، ومع أول رسول. ومضى الجهاد بعد ذلك يزداد ألَقاً، حتى توهّج مع رسالة محمد ﷺ، وهْجاً يمضي مع الزمن ممتداً إلى يوم القيامة.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال يوم الفتح: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيّة، وإذا استُنْفِرتم فانفروا». (رواه الخمسة)[1]

فالجهاد يمتد إذن امتداد الحياة، امتداد النيّة، النيّة التي تصاحب المؤمن في كل لحظة ومع كل خطوة، النيّة التي تصاحب الأجيال جيلاً جيلاً.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة». (رواه مسلم)[2]

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال، قال النبي ﷺ: «لا يزال طائفة من أُمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون». (رواه البخاري)[3]

فمع هذه الطائفة الظاهرة يمتد الجهاد حتى يوم القيامة. ولقد بيّنت الرواية الأولى محور الامتداد وقوة الجهاد ألا وهو العلم، والعلم هو منهاج الله ـ قرآناً وسنة ـ، وما يقوم عليه العلم من إيمان صادق وعملٍ صالح، وما يتبع ذلك من إعداد وقوة في جميع أبواب الحياة.

وهذا الامتداد في الجهاد مع الزمن يحمل نفس القاعدة السابقة التي عرضناها مع شكلي الامتداد السابقين: في الميادين وفي الأرض، وهذه القاعدة هي قاعدة التماسك والترابط في عقيدة واحدة متكاملة لا يسقط منها جزء، ومنهج يحمل الخطة المتماسكة حتى لا يتفلّت الجهاد قطعاً تذروها الرياح، وأمة واحدة مترابطة متماسكة تعبد ربّاً واحداً هو الله لا إله إلاّ هو، حتى لا تتمزّق قطعاً يأكلها الأعداء قطعة قطعة.

---

(١) البخاري: كتاب الجهاد (٥٦). باب (٢٧). وباب (١) وباب (١٩٤) وفي أبواب وكتب أخرى. مسلم: كتاب الإمارة (٣٣). باب (٢٠) حديث (١٣٥٣). والترمذي: كتاب السير (٢٢). باب (٣٣) حديث (١٥٩٠). النسائي: كتاب الجهاد (٢٥). باب (١٥) حديث (٤١٧٠). واللفظ للبخاري والترمذي.

(٢) صحيح مسلم: كتاب (٣٣). باب (٥٣). حديث (١٩٢٣).

(٣) البخاري: كتاب الإعتصام (٩٦). باب (١٠).

ويطلع جهاد أفغانستان اليوم ليمثل، إن شاء الله، صورة من إشراقة الجهاد في سبيل الله، ليحمل معه هذا التماسك الذي عرضناه: تماسك العقيدة، تماسك الخطة والنهج، تماسك الأمة، في ترابط وتناسق، يدفع مواكب الشهداء ويطلع ببشريات النَّصْر.

ونقدم هذه الملحمة الشعرية لهذا الجهاد الإسلامي، وهي تحمل آمال أمة، ولهفة قلوب، وتطلع أعناق وعيون.

٣ / ٦ / ١٤٠٨هـ
٢٦ / ٩ / ١٩٨٧م

يا أرض كابــــول

يا أرض كابـــول![1]

أَنَا الغَرِيبُ. . فَأَيُّ الأَرْضِ تَحْمِلُني | إلى غَرِيبٍ أُوَاسِي جُرْحَه بِدَمي

● ● ●

يَا أَرْضَ «كَابُول». . . ! كَمْ أَلقَيْتِ مُنْهَزِماً | يَجْرِي مَعَ الدَّهْرِ في أَعْقَابِ مُنْهَزِمِ
وَكَمْ شَمَخْتِ. . . ! وَهبتْ كُلُّ شاهِقَةٍ | مِنَ الذُّرى قِمَّةً تَسْعَى إلى قِمَمِ
تَسَابَقَتْ في عَنَانِ الجَوّ وَانْطَلَقَتْ | إلى مَرَاقِي مِنْ عِزٍّ وَمِنْ شَمَمِ
تَقُولُ في وَثَبَاتِ المَجْدِ إنَّ لَنَا | دَفْقاً إلى المَوتِ سَيْلَ الغَاضِبِ العَرِمِ
أَنَا الَّذِي عَزَّنِي الإِسْلامُ فائْتَلَقَتْ | حُمْرُ البِطَاحْ بِنُورٍ دافِقٍ تَمِمِ
مَدَدْتُ في جَوْلَةِ الإِيمانِ سَاحَتَهُ | وَفي مَيادِينه أَطْلَقْتُ كُلَّ كَمِي
أَيَطْمَعُ الرُّوسُ أَنْ تَحْنِي الذُّرَى هُمُو | هَاماً وَقَدْ رَفَعَتْهَا عِزَّةُ الشِّيَمِ
يَا وَيحَ «مُسْكُو». . ! وَقَدْ جَالَتْ بِجَوْلَتِها | وَأَوقَعَتْ نَفْسَها في مَسْرحٍ وَخِمِ
في لُعْبَةٍ أَمْسَكَتْ في كَفِّهَا طَرَفاً | وَأَفْلَتَتْ طَرَفاً في كَفِّ «ذي صَمَمِ»[2]
في كَفِّ «واشنْطن» سَدَّتْ مَسَامِعَهَا | وَأَغْمَضَتْ عَيْنَها عَنْ ظَالِمٍ غَلِمِ[3]
فَمَا وَعَتْ صَيْحَةً دَوّتْ مُجَلْجِلَةً | مِنَ النِّسَـــاءِ. . وَطِفْـــلٍ غَيْـرِ مُنْفَطِمِ
وَكَمْ تُرَى سَمِعتْ هَمْساً لِغَانِيَةٍ | مِن اليَهودِ فَأَوْفَتْ زَهْوَةَ الكَرَمِ
يَا شَرَّ «رِيْغَانَ»[4] كَمْ مَدَّتْ يَدَاهُ أَسَى | وَأَفْرَغَتْ كَـفُّـهُ أَحقـادَ مُنْـتَـقِـمِ

---

(١) من ملحمة الغُرباء.

(٢)«ذي صَمَم» إشارة إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي سدَّت أذنيها، واغمضت عينها عن اكتساح الاتحاد السوفياتي لحدود أفغانستان على وحشية احتلال.

(٣) غَلِم: الهائج الثائر.

(٤)ريغانَ الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية، وعند دخول الإتحاد السوفياتي لأفغانستان كان كارتر هو رئيس الولايات المتحدة، والسياسة واحدة لا تتغير بتغير الرؤساء.

وَكَمْ هَوىَ المِنْجَلُ الدَّامِي على بَلَدٍ ... لِيَسْحَقَ الأَرْضَ مِنْ زَرْعٍ وَمِنْ نَسَمِ
هُنَا التقَى الظَّالِمَانِ استَحْدَثَا عَجَباً ... بَيْنَ الكَوَاليس مِنْ شَرٍّ وَمِنْ غَمَمِ
نَزَعْتِ يا أَرْضَ «كَابُولٍ» قِنَاعَهُمَا ... وَبَان زَيْفُهُمَا في وَقْدَةِ الضَّرَمِ
وَأَقْبَلا بِزُحُوفِ المَوْتِ كَاسِحَةً ... تَطوي الشَّوَاهِقَ طَيَّ الجَارِفِ العَرِمِ
وَأَشْعَلاَ النَّارَ مِنْ بَحْرٍ إِلَى جَبَلٍ ... إِلى فَيَافِيَ مِنْ رَوْضٍ إِلى أَجَمِ
كَأَنَّما راسِيَاتُ الأَرْضِ زَلْزَلَهَا ... هَوْلُ مِن المَوْتِ . . لَا هَوْلٌ مِن الكَلِمِ
كَيْفَ اسْتَطَاعَ بَنْو «مُسْكُو» التَسَلُّلَ في ... جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ أَو في عَتْمَةِ التُّخَمِ
تَنْسَابُ مِنْهَا الأَفَاعِي وَهْيَ هَائِجَةٌ ... لِتَدْفَعَ السُّمَّ نَبْضَ العِرْقِ دَفقَ دَمِ
تَنَاثَرَ النَّاسُ مِمَّا قَدْ أَلَمَّ بِهِمْ ... عَلَى الهَوَى نُهْبَةً للشَكّ وَالتُّهَمِ
وَتَاهَتِ الخَطْوةُ الحَيْرَى عَلَى سُبُلٍ ... شَتَّى وَفي مَهْمَهٍ دَاجٍ وَفي بُهُمِ[1]
وَعُدْتُ أَدْفَعُ في دُنْيَا اللَّجُوءِ خُطَى ... وَأَزْرَعُ الأُفقَ مِنْ كُوخي ومِن خِيَمِي
أَنا الغَرِيبُ . . . يَكَادُ الدَّرْبُ يَشْرَقُ بِيْ ... وَظُلْمَةُ اللَّيْلِ تَرْمِيْنِي إِلَى ظُلَمِ

● ● ●

وَعُدْتُ أَسْأَلُ: كَيْفَ الخالِيَاتُ مَضتْ ... وَمَا وَثَبْنَا لِدَفْعِ الشَرِّ والنِّقَمِ
وكَيْفَ هَبَّ عَدُوّي عِنْدَهَا وَغفَتْ ... عَيْني عَلَى دَافِيءِ الأَشْوَاقِ وَالحُلُمِ
كَأَنَّ دارِيَ قَدْ ظَلَّتْ مُفتَّحَةً ... أَبْوابُهَا شُرَّعاً للزَّاحِفِ النَّهِمِ
أَيْنَ المَلاَيِينُ . . !؟ في لَهْوٍ وَفي خَدَرٍ ... أَين الدعاة وصَفْوُ النّهجِ والهِمَمِ . . !؟

٢٣ / ١١ / ١٤٠٥هـ
٨ / ٨ / ١٩٨٥م

(١) بُهُم جمع بهيم وهو الليل الذي لا ضوء فيه حتى الصباح والجمع بضمة وبضمتين.

الدِّماءُ التي صَبَغْتِ حَيَاةً

الدِّمـــاءُ التي صَبَبْتِ حيـــاةٌ[1]

عَـــانِقي المَجْـدَ وَاخْفقي يَابيـدُ ... كُـلَّ يَـوْمٍ عَلى رِمَالِـــكِ عِيـدُ

رَايَـــةٌ بَعْـدَ رَايَـــةٍ وَزُحـوفٌ ... في مَيَـادِينِهَا وَفَـجْرٌ جَدِيـدُ

لَايَـــزَالُ التَّاريخُ يَدْفَـعُـهُ النَّصْـ ... ـرُ وَيَـبنِيـهِ مُؤمِـنٌ وشَـهِيدُ

وَالنُّـبُـوَّاتُ آيَـــةُ اللهِ يُجْـلَى الـحَـ ... ـقُّ في نُـــورها ويُجْلَى الـوُجُـودُ

تَـصِـلُ الأَرْضَ والـزَّمَـــانَ فَتمتَـ ... ــدُّ مَـوَاثِيـقُ أُمَّـةٍ وَعُـهُــودُ

يَـالَـحَـقٍّ جُـــذُورُهُ ضَرَبَـتْ في الأَرْ ... ضِ وامْتَـدَّ سَـاقُهُ والـعُـودُ

إِنَّـهُ جَوْهَـرُ الـحَـيَـاةِ وَفَـيْـضٌ ... عَـبْـقَـرِيٌّ وَفَـــاؤُهُ وَالـجُـــودُ

إِنَّـــهُ الوَحْـــيُ والـــرِّسَالَةُ لِلـنَّـا ... سِ وَهــذا رَسُـولُهَا الـمَـشْـهُـودُ

سَـيِّـدُ الـنَّـاسِ ! بَيْـنَ نَـصْرٍ من اللّـ ... ـهِ وَعِـــزٍّ لِـــوَاؤُه مَـعْـقُـــودُ

إِنَّـــهُ أَحْمَـدُ النَّبِــيُّ! فَبُشْـرَى ... بَـيْـنَ آيـاتِ رَبِّـــهِ وَوَعِـيـدُ

فَـمِـنَ اللهِ كُـلُّ فَـضْـلٍ عَلَيـــهِ ... آيَـةُ الحـقِّ والـهُـدَى التَّـوحِيـدُ

● ● ●

حَيْثُـمَـا مَـالَ بي الفُـؤَادُ فَـدَارٌ ... هاجَ مِن حُـبِّـهـا فُـؤادِي العَـمِيـدُ[2]

بَـيْــنَ جَـنَّـاتِـهَا غِـراسُ الأَمَـانـي ... وَعَلـى سَـاحِـهـا الفَتـى الـموعـودُ

يَــا دِيارَ الإِسْـــلامِ! مَـزَّقَكِ الـشَّـ ... ـرُّ وهــذا الـهَوَانُ والـتشـريـدُ

نَـصَـبُـوا فِـيـكِ يَا دِيـارُ حُـدُوداً ... خَـنَـقَـتْـنَا حَـوَاجِـزٌ وَحُـدُودُ

---

(١) تمثل هذه الأبيات مطلع قصيدة: «رسول الهدى» أَلقيتُها في أورانج أباد في الهند في الندوة الأدبية التي عقدت هناك عن المدائح النبوية، الندوة التي نظمتها رابطة الأدب الإسلامي. وهي تمثل كذلك مطلع ملحمة على أبواب القدس.

(٢) العَمِيد: الذي هدَّه الحبُّ.

قَـدْ رَضِـيْـنَـا بِـمَـا أَقـامـوا فـضـاقـتْ مِـنْ رِضَـانَـا على الـشَّـريـدِ الـلُّـحُـودُ
يَا دِيـارَ الأَفْغَان! نَصْرُكِ نَصْـرٌ جَـلّ فِيـهِ الـفِـدَاءُ والـتـمْـجِـيـدُ
سَـادَ فِينـا مِـنَ الـهَـوَانِ ظَـلاَمٌ بَـدَّدِيـهِ بِشُـعْـلَةٍ لاَ تَـبِـيـدُ
شُـعْلَةٌ مِنْ مَـشَـاعِـلِ الحَقِّ تاهَـتْ عَـنْ هُـدَاهَا مَـذَاهِـبٌ وَجُـهُـودُ
يَـادِيارَ الأَفْغَـان عِنْدَكِ يَـحْـنـو مَا تَلَـفَّـتُّ عِـزُّنَا الـمَـفْـقُـودُ
الـدِّمَـاءُ الـتـي صَـبَـبْـتِ حَـيَـاةٌ عِـزَّ فِـيـها الـفَـتـى وعَـزَّ الـوَلـيـدُ
يَا رُبى الصين! يَا رُبَى الهِنْدِ! ياشَـا مُ! وَيَا نِيـلُ يَـا مَلاحِمُ! عُـودُوا

٢٣ / ٢ / ١٤٠٩هـ
٤ / ١٠ / ١٩٨٨م

شمـوخ الليــالي

فَـأَطِـلِّـي مِـنَ الـغُـيـوبِ

هَفَتِي لِلنُّجُودِ لَهْفَةُ صَادِي فَأَعِيدي النَّدِيَّ مِنْ إنْشَادِ
يَا رُبُوعَ الأَفْغَانِ! أَيَّ حَدِيثٍ أَيَّ لَحْنٍ بَعَثْتِ أَيَّ جِهَادِ
رَجِّعي اللّحنَ إنّهُ نَفْحَةُ الخُلْـ ـدِ ونَجْوَى القُلُوبِ والأَكْبَادِ
وارْفَعِيهِ عَلى تَدُفُّق أَمْوا جٍ وَسَيْلٍ مِنَ الدَّمِ الوَقَّادِ
وانْطِلاَقِ الفُرْسَانِ فِي حَوْمَةِ المَوْ تِ وزَحْفِ الوِهَادِ والأَنْجَادِ
رَجِّعِيهِ فَإِنَّهُ هَمْسَةُ الشَّوْ قِ نَدِيّاً وَلفتةِ الأَمْجَادِ
وَأَعِيدِي ما شِئْتِ مِنْ دَفَقَاتٍ لِلحَنينِ ولَهْفَةٍ لِجِلادِ
لِدَوِيِّ الرُّبَى وَزَلْزَلَةِ اليُسْرِ كانَ أوْ وَثْبَةِ الفَتَى الرَّعّادِ
وَرَفِيفٍ مِنَ ذِكْرَيَاتٍ خَوَالٍ طَوَّفَتْ في مَشَارِفٍ وَبَوَادِ
ذِكْرَيَاتٍ حَمَلْنَ في الدَّهْرِ آمَا لاً تَلَفَّتْنَ أَيْنَ عِزَّةُ الأَحْفَادِ
أَيْنَ أَبْنَائِيَ الذينَ رَعَتْهُمْ خَلَجَاتُ الأَحْنَاءِ والأَكْبَادِ؟
أَيْنَ إِشْرَاقَةُ الهُدَى في الدَّيَا جيرِ ولَمْعُ الأَنْصَالِ بَيْنَ السَّوادِ؟
لَفَتَاتُ الإِبَاءِ أَيْنَ تَوَلَّتْ أَيْنَ إِطْلالَةُ الفَتَى النَّجّادِ؟
أَيْنَ أَشْوَاقُنَا التي حَمَلَتْهَا لِلْبَرَايَا عَزائِمُ الرُّوّادِ؟
غَمَرَتْهَا إحنَاءَةُ الذُّلِّ لَمَّا رَكَعَتْ لِلهَوَى نُفُوسُ العِبَادِ
يَا رُكُوعَ العَبِيدِ لِلصَّنَمِ الصَّخْـ ـرِ وَ شَكْوَى العَبِيدِ لِلأَسْيَادِ
وَهَوَانَ الأَكُفِّ! كَانَتْ عَطَاءً وَمَضَاءً وَعَزْمَةً من رَشَادِ
كَيْفَ هَانَتْ وَرَعْشَةُ الذُّلِّ تَسْتَجْـ ـدِي العَطَايَا مِنْ أَعْيُنٍ وَأَيَادِ
كَمْ تُرَاهم مَشَوا لِسَاحِ نِزَالٍ ثُمَّ رَدُّوا السُّيُوفَ لِلأَغْمَادِ

فَأَطِلِّي مِنَ الغُيُوبِ، أَجِيبِي ... يا زُحُوفَ الأَفْغَانِ شَوقَ مُنَادِ

وَاطْلَعي طَلْعَةَ الشُّروقِ وَهُزِّي ... مِنْ غُفَاةٍ وأَيْقِظِي مِنْ رُقَادِ

شَرَفُ العُمْرِ مَا بَنَتْهُ يَدَاهَا ... ورضا النَّفْس مَا رَآهُ فُؤَادي

● ● ●

حَنينٌ ودمــوع

أَيْنَ «إِشبيليا»! وَأَيْنَ دُمُوعٌ ... سَكَبَتْ حَرَّها بَنُو عبّاد[1]؟

وَمُلُوكٌ مِن الطوائِفِ شَتّى ... ذَرَفُوا أَدْمُعَاً عَلى أَمْجَادِ

يَا هَوَانَ المُلُوكِ تَسْكُبُ دَمْعاً ... قَبْلَ سَكْبِ الدِّمَاءِ في الأَنْجَادِ

أَيْنَ «غِرْنَاطَةٌ» يَمُوجُ هَواهَا ... بَيْنَ لَهْوٍ مُضَيِّعٍ وَفَسَادِ[2]

يَا جُنُونَ الهَوَى بِأَنْدَلُسَ الخَضْـ ... ـراءِ رَجِّعْ مُوَشَّحاً مِنْ حِدَادِ

سَكِرُوا في مضاجِعٍ ثُمَّ غَابُوا ... في حُمَيَّا أَحْضَانِهَا والمِهَادِ

أَيْنَ قصرُ الحَمْراء؟ أَيْنَ الجَواري ... رَاقِصَاتٍ؟ وَأَيْنَ سِحْرُ النّادي؟

أَيْنَ يا قَصرُ زَهْوَةُ الأُنْسِ في اللّيْـ ... ـلِ وَصَخَبُ الرِّفَاقِ وَالعُوّادِ؟

يَا لَهَا فِتْنَةٌ تَجُرُّ خُطا الذُّ ... لِ إِلى مَهْمَهٍ وسَقْطَةِ وادِ

وأَبُو عَبْدِ الله يَسْحَبُ خَيْلاً ... وَبقَايَا هَزِيمَةٍ وَعَتَادِ[3]

---

(١) إشبيليا كانت عاصمة «بني عَبَّاد» من ملوك الطوائف، من ٤١٤هـ - ٤٨٤هـ (١٠٢٣م - ١٠٩١م). وقد استعان ملكها المعتمد بن عباد على ملوك الفرنجة بيوسف بن تاشفين رأس دولة المرابطين عدة مرات حتى استبدَّ يوسف بالملك في إشبيلية لنفسه، وأخذ المعتمد بن عباد سنة ٤٨٤هـ أسيراً إلى أغمات حيث مات هَمَّاً وحزناً.

(٢) غرناطة: آخر دولة سقطت في يد الفرنجة بالأندلس سنة (٨٩٨هـ / ١٤٩٢م)، بعد ثمانية قرون من عام فتحها. وكان ملوكها من بني الأحمر، وآخرهم هو أبو عبد الله الذي سلم مفاتيح الحمراء إلى فردناند وازابيلا.

(٣) أبو عبدالله هو محمد بن محمد آخر ملوك غرناطة، خرج من قصر الحمراء حتى إذا انعطفت به الطريق وكادت تغيب الحمراء عنه، أرسل النظرة الأخيرة وهطلت عيناه بالدموع. فقالت له أمه عائشة:

إبكِ مثل النِّساءِ ملكاً مضاعاً ... لم تحافظْ عليه مثل الرجالِ

يَـا لـدمْـعٍ مِـنَ الـكُـبُـودِ سَكَبْنَـا ... هُ ومَـا زال جَـارِيـاً في البـلادِ

● ● ●

يَـا فِلَسْطِينُ! يَا حَـنِـيـنَ الـلَّيالي ... يَـا شُـفُوفَ الـغُـيُوب والإشْـهَادِ!
يَـا طُيوفَ الإسْـراء أيُّ جَـلاَلٍ ... بَـيْـنَ آيـاتـه وَأَيُّ جِـهَـادِ!
يَا حَـنِـيْـنَ الـبُـرّاقِ يَا لَفتَـةَ الـشـو ... قِ إلـى طَـلْـعَـةِ الـنّـبـيّ الهَـادي!
يَـا ظِـلاَلَ الأَقْـصـى حِمَاك نديٌّ ... عَـبِـقٌ مِـنْ دَمٍ غَـنـيٍّ الـرِّفـادِ
كُـلُّ شِـبْـرٍ يَـضُـمُّ قَـبْـرَ صَـحَابِيْ ... يٍ ونَـفْـحـاً مِنْ مُـؤْمِـنٍ وَجَـوادِ
قَـسَمـاً بالذي يُبَـارِكُ فِيهَا ... وَعَـلَـيْـهَا وَبَـيْـنَ كُـلٍّ وهـادِ
سَوفَ نَمْضِي عَهْداً مَعَ الله يَـرْوِيْـ ... ـهِ وَفَـاءُ الـدِّمـاءِ والأَحْـفَـادِ

● ● ●

أَيْـنَ لُـبْـنَـان بَـيْـنَ فَـكّيْـنِ عَضَّا ... هُ بِـنَـابٍ وَ مِـنْـجَـلٍ حَـصَّـادِ
دَفَـعُـوهُ إلى الـهَـلاكِ فَـأَلْـقَـى ... نَفْسَـهُ في جَـحِـيـمِهَـا الـوَقَّـادِ
يَـصْـطَـلِي الـنّـارَ . . ! تأكُلِ الأَخْضَرَ الزا ... هِـيْ وتُـورِيْ اللهيبَ بالأَجْسَادِ
لَـمْ تَـزَلْ مِـنْ سعيرهَا تَقْذِفُ الـمَوْ ... تَ شَـظَـايـا فَـوَّارَةَ الأَحْـقَـادِ
يَـلْـعَـبُ الـمَـوتُ في الأَزِقَّـةِ والـدَّا ... رِ وَفي وَهْـدَةٍ وَ فـي أَنْـجَـادِ
كُـلَّـمـا رُمْـتُ أَنْ أُسَـطِّـرَ نَـجْـوى ... ذَرَفَ الـدَّمْـعُ قَـبْـلَ ذَرْفِ مِـدادِ

● ● ●

شُـعْـلَـةٌ مِـنْ رُؤَى حُـنَـيْـنٍ وَبَـدْرٍ

يَـا دِيـارَ الإِسْـلام! أَيْنَ المَلايِيـ ... ـنُ؟ وأَيْنَ السَّرَاةُ مِنْ أَجْنـادِ[1]؟

---

(١) السَّراة : السراة جمع سريّ . من سَرُوَ سَراوة وسَرْواً شَرُف وكذلك سَرَا فلانٌ سَرْواً وسراوة شرُف وسَخا في مُرُوءة . وجمع الجمع سَرَوات . والسَّرَاة من كلِّ شيء أعلاه أو وسطه أو معظمه . وسَرَاة النهار وقت ارتفاعه .

كـلَّ يَوْم لَنَا مُصَابٌ جديـدٌ هـزَّ من رُكْنِنَـا وَمِنْ أَوْتَـادِ
هـزَّنَا الشَّـوْقُ لِلمَيادِينِ نُحْـيـي بَيْنَ سَـاحَاتِـهَا طُيُـوف جِهَـادِ
طـوِّفـي يَا قُلُـوبُ حَيْثُ تَشَـائيـ ـنَ طَـوافَ الـوَلْهَان شَـوْقَ الصَّادي
وَقِفِي يَا طُيـوفُ هذي هِيَ السَّـا حُ تُنـاجـي فُـرْسَـانَها وَتُنـادِي
ها هُنـا تُولَدُ البُطُـولاتُ تِيهِـي يَا رَوَابـي بِـزَهْـوَةِ المِيـلادِ
هـا هُنا تُـوْلَـدُ البطُـولاتُ مَاجَـتْ في زُحُـوفٍ غَـنـيَّـةِ الإمْـدادِ
هـا هُنـا مَصْنَعُ المَلاَحِـمِ والمجْـ ـدِ وهـذي مَـوَاكِـبُ الـرُّوَّادِ
هـا هنـا «كابُلٌ» وهذي ذُرَاهَـا شَـمَخَـتْ في إبـاءَةٍ واعْـتِـدادِ
يَـا لزَهْو الإيْمانِ يُعطـي إبـاءً في خُشُـوعٍ وَعِـزَّةً في فُـؤادِ!
كُـلَّما فـجَّـر الدِّمـاءَ قلُـوبٌ نَـثـرَتْـهُ على الـرُّبَـى والـوِهَـادِ
فـإذَا كـلُّ ربْوَةٍ جَوْهَـرُ الـمِسْـ ـكِ ونَـفْـحٌ مُـضَـمَّـخُ الأَوْرَادِ
عَـبْـقَـرِيُّ الـفِـدَاء أن تَخْـلُصَ النَّفْـ ـس إلى الله، في وغـى وطِـرَادِ
وَتَـدَوِّي «اللهُ أكْـبَـرُ»، مِـيـدي يَا رَوَابِـي وَهَـلِّـلـي يَـا بَـوَادي
عَـبْقَرِيُّ الفِـداء وَثْبَـةُ صِـدْقٍ مِـنْ فتـىً زاحِـفٍ وَمِـنْ نَـهَّـادِ
عَـبْقَرِيُّ الـجِـهَـادُ يَصْبِـغُ سَـاحـاً مِـنْ دَمٍ دافِـقٍ ومِـنْ عُـبَّـادِ
عَـبَـقُ الـمَـجْـدِ أَنْ تَـمُـدَّ الـمَنَـايَـا مِنْ شَـذا النَّصرِ أو شَذَا الأَشْهَـادِ
عَـبْقرِيّاتُـهَـا شُـمُـوخُ الـلَّـيَـالي والـتـفـاتُ الـعُـصُـورِ والآبَـادِ
فـكـأنّي أرَى امـتـداد الـلـيـالي قَـبَـسـاً مِنْ نُـبُـوَّةٍ وَجِـهَـادِ
شُـعْـلَـةٌ مِـنْ رُؤَى حُـنَـيْـنٍ وَبَـدْرٍ وَعَطَـاءٌ مِـنْ بَـاذِلٍ جَـوَّادِ

● ● ●

طيـوف الأَعْـراسِ والأَجْـوَادِ

يَا دِيَارَ الأَفغـان! يَا قِـمَـمَ الـمَجْـ ـدِ! حَـنِـيـنَ الآبَـاءِ والأَجْـدَاد!

كُـلَّ يَـوْمٍ عَلى مِـرَابِعِكِ الـحُـمْـ   ـرِ طُيـوفُ الأَعْـراسِ والأَعْيَـــادِ

كُلُّ « زغْرودَة »(١) تضُمُّ شَهيداً   لِـشَهَـيـدٍ بِـمَـوكِـبٍ صَـعّـادِ

يَـا جِبَـالَ الأَفْــغَان! يا قَلْعَة الـمَــو   تِ! وَيَا حِـصْـنَ أُمَّـةٍ وَبِــــلادِ!

عَـزْمَـةٌ مِـنْ رِجَالِهَـا وَهَـبَـتْـهَـا   مَـنْـعَـةً والهُدَى وخَفْقَ صِعَادِ(٢)

يَـا جَـلالَ الإِيـمـانِ باللهِ يُـعْـطِـي   مَـنْـعَـةً في مَـواقِـعٍ وَزِنَـــادِ

قِـمَــمَ الـمَـجْـدِ! ما رأَيْـتُـكِ إِلَّا   صَاعِـدَاتٍ إِلى عُـلاً وارْتِـيَـادِ

وكَـأَنِّـي أرَى الــذُّرا وَثَـبـاتٍ   في سِـباقٍ وَلَـهْـفَــةٍ وامْـتِـــدَادِ

لَــمْ تَـزَلْ في سِـبَاقِـهَا مُشْـرِقَـاتٍ   عَـجَـزَ الشَّوقُ عَـنْ لِـحَاقِ جِيادِ

● ● ●

يَـــا رُبُوعَ الأَفْغَانِ! إِنَّ هَوَانـا   شَـبَّ في صِـدْقِهِ وطِيبِ جِهَـادِ

بَـيْـنَـنَـا مِنْ وشائجِ الدِّيْنِ قُـرْبَـى   وَحِبَالٌ مَـتِـيـنَـةٌ مِـنْ وِدَادِ

أَنْتِ «أَرْضُ الـشُّمُوسِ»، «لأْلأَة الـنُّو   رِ»، نِدَاءُ الوَفَــاءِ، زَهْـوَةُ حَـادِ(٣)

أَنْــتِ مَيْدَانُنَــا الـغَـنـيُّ عَلَـيْـه   من عَطَــاءِ التَّــاريـخ وَفْـرَةُ زَادِ

---

(١) «زَغْرُودَة»: من زَغْرَدَتِ المرأة رددت صوتها بلسانها في فمها عند الفرح. والمصدر «زَغْرَدَة». و«زَغْرُودَة» هي اللفظة الشائعة في الأفراح في بلاد الشام، وهي الواحدة من الزغردة. وقال الزبيدي في تاج العروس عن كلمة زغرد: «وقد استخرج لها بعض العُلَماءِ أصلاً من السُّنَّة».

(٢) صِعَاد: جمع صَعْدَة وهي القناة التي تنبت مستوية فلا تحتاج إلى تثقيف.

(٣) «أرض الشموس»: من المعلوم أن جزءاً من خُراسان سابقاً يقع اليوم في أفغانستان وكلمة «خراسان» معناها أرض الشمس.

«لألأة النور»: إشارة إلى الإسلام، وإلى أن بعضا من شعوب أفغانستان كان وثنياً يطلق السكان عليه اسم «الكفار» أو «الكافير» فاعتنقوا الدين الإسلامي لما أصبحوا جُزءاً من الدولة الأفغانية في القرن التاسع عشر في زمن عبدالرحمن خان، فسمّاهم «النوريين».

كُلَّمَا مَرّتِ العُصُورَ عَلَيْه وَهَبَتْهُ مِنْ طَارِفٍ وَتِلادِ

مِنْ سَنا لُؤْلُؤٍ وَمَاسَةِ «كوهي» وَبَرِيقٍ مُمَوَّجٍ واتِّقَادِ[1]

فَأَتى «مَوْكِب الهُدَى» فَحَبَاهَا آيَةً مِنْ جَوَاهِرٍ وَقِلادِ[2]

فَخَبَتْ كُلُّ مَاسَةٍ حَمَلَتْهَا وَزَهَتْ مَاسَةُ التُّقَى والرَّشَادِ

جَوهَرٌ مِنْ رَوائعِ الحُسْنِ أَخَّا ذُ وَآيُّ مَاضٍ مَعَ الآمَادِ

أَيُّ حُسْنٍ أَجَلُّ مِنْ آي حَقٍّ وَكِتَابٍ وَسُنَّةٍ واجْتِهَادِ

فِي مُحَيَّاكِ طَلْعَةُ الحُسْنِ رَفَّتْ وَعَلى مِعْصَمٍ وَفِي أَجْيَادِ

وَعَلى تاجِكِ المُنَوَّرِ غَارٌ مِن فُتُوحٍ وَحِلْيَةٌ مِنْ جِلادِ

فَإذَا أَنْتِ يَا رُبُوعُ عَرُوسٌ مَهْرُهَا فِي الوَغَى وفي استِشْهَادِ

وَلَيَالِي أَفراحِهَا خَطَرَاتٌ بَيْنَ وَمْضِ القَنَا وَوَقْدِ زِنَادِ

● ● ●

أَيُّ نُورٍ سَرَى بِأَرضِكِ يُحْيِي مُهَجاً أَسْلَمَتْ لِرَبِّ العِبَادِ

كُلَّ يَومٍ نَرَى عطاءَكِ فَذّاً فِي مَيَادِينِ حِكْمَةٍ وَجِهَادِ

فادْفَعِيهَا على الميادين، جَلِّي مِنْ بُطُولاتِهَا ومِنْ أَمْجَادِ

مِنْ إمَامٍ عَلى «الحديثِ» مُقِيمٍ وَإِمَامٍ عَلى لِسَانِ الضَّادِ

وَرِجَالٍ تَخَاطَفَ المَوْتُ مِنْهُمْ أَنْفُساً فِي مَلاحِمٍ وَطِرَادِ

---

(١) «ماسة كوهي»: وتسمّى «كوهي نور» وهي ماسة مشهورة في الهند وقعت في يد «نادر شاه» ملك الأفغان حين توجه إلى الهند ليقضي على امبراطورية المغول في جيش عدده (٨٠,٠٠٠) ثمانون ألف جندي. فانتصر عليهم في «كارنال» ووقعت بيده كنوز ضخمة ومنها هذه الماسة العجيبة. كما حمل معه «عرش الطاووس» الذي لايزال في طهران ويتوج عليه ملوك الفرس. ثم استولى على هذه الماسة بعد ذلك «رانجي سينيخ» حاكم البنجاب حين طلب (شاه شجاع) حاكم افغانستان مساعدته فخدعه وسرق الجوهرة ولم يسعفه. وأعني بهذا البيت أن الأيام قد تحمل لأفغانستان مثل هذه الماسة ولكن ماسة التقوى والايمان أعظم بكثير حتى تبهت أمامها أي ماسة مهما كانت عظيمة.

(٢) موكب الهدى: فتوح الإسلام وجيوشه.

فَـإِذَا أَنْتِ مَطْمَعٌ لِحَسُـودٍ وإذ أَنْـتِ لَهْفَـةُ القُصَّـادِ
فَامْـلأي الأُفْقَ مِنْ رِجَالِكِ هُـزِّي مِنْ جِبَالٍ وَزَلْـزِلي مِنْ أَعَادِي
وادْفَعي وَثْبَةً إلى الحَـقِّ وابْنـي شَـامِخَاتٍ عَلى الـذُّرَا والوِهَـادِ
واصْهَري في لَهِيْبِهَا «جُنْحَةَ الشَّـ ـوقِ» وضُـمِّـي الأَبْنَاءَ في الأَكْبَادِ[1]
واجْعَلِيهَا بِرَحْمَـةِ الله صَفًّـا لَم تُـمزِّقْهُ نَـزْوَةُ الحُسَّـادِ
أَنْتِ أَقْوَى مِنَ العَـدُوِّ وأَعْـلى بِيَقِـينٍ بالله، بـاسْتِشْـهَادِ
أَنْتِ رُوحٌ سَرَى، أَعِيدي إِلَيْنَا نَبَضَـاتِ العُـروق والأَجْسَادِ

● ● ●

فتنة الهوى وشباك الأعداء

أَطْلِقي مِنْ أَعِنَّـةٍ جَامِحَـاتٍ أَطْلِقي حَمحَماتِهَا في البَوَادي
أَطْلِقيهَا أَعِنَّةً تجْتَلي المَجْـ ـدَ عَلى سَاحَـةٍ وَفي أَنْجَـادِ
أَطْلِقِيهـا فـإِنَّهَا هِيَ والنَّصْـ ـرُ رُؤىً حَـوَّمَتْ عَلى مِيعَـادِ
بُشْرَيَاتٌ تُطِلُّ من أُفُقٍ دا مٍ ومِنْ مَطْلَعٍ ومِـن آمَـادِ
كَـمْ تَرَى أَلْجَمَ الجِيَادَ هَوَانـا وَرَمَـى قَيْـدَه عَلى الأَزْنَـادِ
وَعَـدُوٍّ تَـرَى، تَسَـلَّلَ فِينـا بَيْـنَ لَهْـوٍ وفُـرْقَـةٍ وَرُقَـادِ
كَمْ تَـرَاهُ رَمَـى عَلَيْنَا شِبَاكـاً وَرَضِينا بِمـا تَحُـوكُ الأَعَـادِي
كَـمْ تَـرَاهُ يُقَـلِّـبُ المكْـرَ فِينا وَتَرانا نَنْـقَـادُ أَيَّ انقِـيَـادِ
قَـدْ شَكَـوْنَـا أَمـراضَنا وَتَعِبْنَـا وَرَحَلْنَا «لِمَجْلِسٍ» و «نَـوَادٍ»[2]
وَبَلونـا مِـن ذاكَ شَـرَّ بَـلاءٍ وَحَصَـدْنَا مِنْـهُ فَـرَاغَ الأَيَـادِي

● ● ●

(١) «جُنْحَةُ الشوق»: تعبير رقيق عمّا قد يحْدث من خلاف غالباً ما يكون سببه الرغبات والأشواق التي تجنح بصاحبها.

(٢) «مجلس»: مجلس الأمن، نوادي: هيئة الأمم المتحدة ومجالسها فهي ليست أكثر من ذلك.

أَيُّـها الرُّوسُ! يَا دُعَاةَ حَضَـارَا ... تٍ وَدُنْيا «مَبَادِىءٍ» وَ «حِيَـادِ»[1]
يَا دُعَـاةَ السَّـلامِ! أَيْـنَ سَـلامٌ ... مَـزَّقَـتْـهُ نَـوافِـرُ الأَضْـدادِ
يَا هَـلاكَ الـشُّعوبِ! يَا فِتْـنَـةَ الـنَّا ... سِ! ضَحَايَا الـغُـرُورِ والإِلْـحَادِ
قَـدْ بَلَونا سِياسَةَ «الغَـرْبِ» حتى ... قيلَ في «الـشَّـرْقِ» ثَـورَةٌ وأَيَـادِ
فانـثَـنى جَاهِـلٌ يُهَدْهِـدُه الـظَّـ ... ـنُّ ويَرْمِيـه في سَـرَابٍ بَـادِ
وإذا كُـلُّـكُـمْ عِـصَابَاتُ إِجْـرَا ... مٍ وَدُنْيَـا مـصالِـحٍ وَفَـسـادِ
كُـلُّـكُـمْ يَـدَّعِـي المَبَادِىء والـعَـدْ ... لَ ويُـجْـرِي الهَلاكَ بَيْنَ الـعِـبَادِ[2]
بَـيْنَ حُـمَّـى مَجْنُونَـة مِنْ حَديـدٍ ... وَهَـدِيـرٍ مُـرَوِّعِ الأَبْـعَـادِ
وَهْـيَ تَنْقَـضُّ كالـرَّدى يَـسْحَـقُ الأرْ ... ضَ ونَـارٍ سَـرِيـعَـةِ الإرْفَـادِ
تَـمْـلأُ الأُفْـقَ، يَا لِهَوْلِ زُحُـوفٍ ... وَحُـشُـودٍ كـأَنَّـهَا مِنْ جَـرَادِ!
أو كَـأنَّ الـسَّـمَـاءَ تَـهوي عَـلى الأَرْ ... ضِ وَتُـلْـقِي مِنْ شُـعْـلَـةٍ وسَـوَادِ!
لا تَـرَى بَعْدَها سِـوَى هَبَـوَاتٍ ... مِـنْ سَوَادٍ وحَـفْـنَـةٍ مِـنْ رَمَـادِ
وَبَـقَايَـا الأَشْلاءِ تَسْأَلُ أَيْنَ الـ ... عَـدْلُ؟ أَيْنَ الإنْسَانُ؟ أَيْنَ الـمَـبَادِي؟
لا تَـرَى غَيْرَ زَحْمَـةٍ مِنْ وُحُـوشٍ ... وَبَـقَـايَـا فَـرِيْسَـةٍ واصْـطِـيَـادِ

● ● ●

طَـلْـعَـةُ الـنَّـصْـر

لَقِّنِيـهـم ـ كَمَا عَلِمْتِ ـ دُرُوسـاً ... مِـنْ فِـداءٍ وآيَـةً مِـنْ جِهَـادِ
واعْصِفي في وُجُوهِهِمْ حُـمَـمَ المَـوْ ... تِ وصُبِّـي قَـذَائِـفـاً مِن عَتَـادِ

---

(١) اعتاد الاتحاد السوفياتي أن يخدع الناس بشعارات «السلام» و«العدل»، و«حقوق العمال» وغير ذلك، كما اعتاد العالم الغربيّ أن يخدع الناس بشعار «الديمقراطية».

(٢) قضايا العالم ومصائبه وجميع الفتن والنكبات هي ثمرة الديمقراطية الغربية والشيوعية الشرقية، حتى أصبح الناس جميعهم في شتى أنحاء الأرض بحاجة إلى الإسلام، لِيَنْجوا مما هم فيه من بلاء وعذاب.

حَدِّثِيهِمْ عن «خَيبَرٍ» ثُمَّ قُولي — لَمْ نَزَلْ يَا غُزَاةُ بالمِرْصَادِ[1]
فَعَلَى كلِّ ذِرْوَةٍ صَيْحَةُ الحـ — ـقِّ وَدَعْوَى مُكَبِّرٍ وَمُنَادِ
وَحُمَاةٌ كَأَنَّهُمْ قَدَرُ المَوْ — تِ لِغَازٍ وَصَعْقَةٌ لِمُعَادِ
حَطَّمُوا القَيْدَ! يا لِشَرِّ قُيُودٍ — وَرَمَوا مِنْ هَوىً ومِنْ أَصْفَادِ
وكَأَنَّ التاريخ عَادَ غَنِيّاً — زاخِراً في مَواكِبِ الزُّهَّادِ
طَرَحُوا فِتْنَةَ الحَيَاة وَهبُّوا — لِجنَانٍ نَدِيَّةِ الأَوْرَادِ
كَمْ فتىً مُقْبِلٍ ألحَّ بِهِ الشَّوْ — قُ فَأَلْقَاهُ في لَيَالٍ شِدَادِ
صَابِرٍ، كُلَّمَا تَلَفَّتَ لاَنَتْ — بَيْنَ عَيْنَيْهِ فُرْجَةٌ من وِهَادِ
حَذِرِ الخَطْوِ، ثابتِ القَلْبِ، وَثّا — بٍ إلى هَمِّهِ، شَدِيدِ العِنَادِ
طَلْعَةٌ تَجْمَعُ السَّمَاحَةَ والحَزْ — مَ وعَزْمٌ يَشُدُّ مِن أَزْنَادِ
وَمُحَيَّاهُ دَفْقَةُ النُّورِ، عَيْنَا — هُ بَرِيقُ الصُّقُورِ والآسَادِ
وَخُطَاهُ كَأَنَّهَا وَثْبَةُ الفَهْـ — ـدِ وخَطْفٌ مِنْ بَارِقٍ صَعَّادِ
وفُؤادٍ كَأَنَّهُ مُهْجَةُ اللَّيْـ — ـثِ وَرَأْيٍ مِنْ حِكْمَةٍ وسَدَادِ

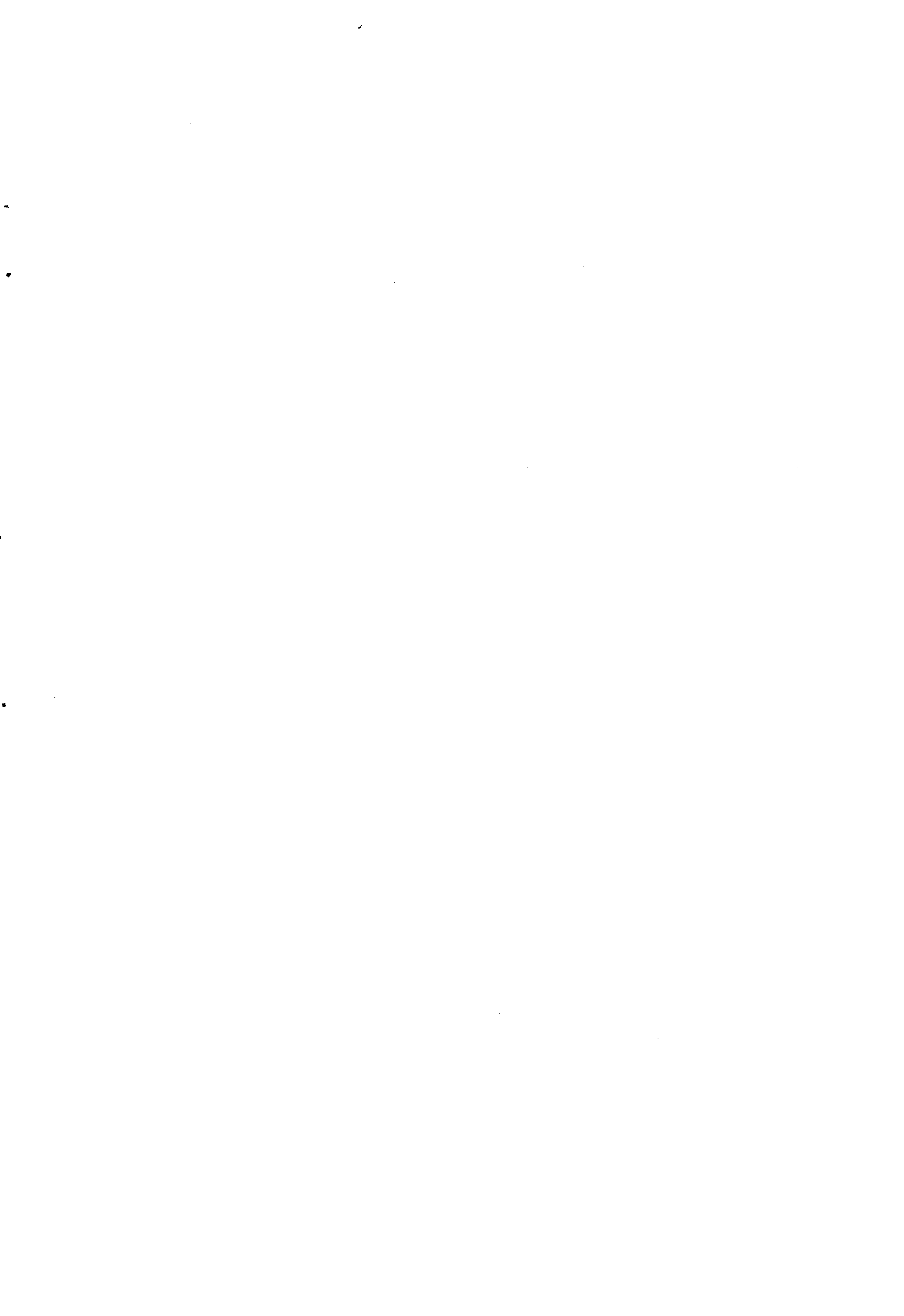
● ● ●

يَا لَنَصْرٍ رَأَيْتُه بِفُؤادي — مُشْرِقٍ بَيْنَ آيَةٍ وَزِنَادِ
أَقْبِلِي واحْمِلِي البَشَائِرَ لِلنَّا — سِ وزُفِّي عَرَائِسَ الأَمْجَادِ
سَتَظَلِّيْنَ في فَمِ الدَّهْرِ لَحْناً — عَبْقَرِيَّ الهَوَى غَنِيَّ الوِدَادِ
إِنَّمَا النَّصْرُ آيَةُ الله عَهْدٌ — مِنْهُ لِلمتَقِينَ والعُبَّادِ
فَاسْجُدِي واخْشَعِي أَنِيبِي إِلَى — الله عَلَى خَشْيَةٍ وَذِكْرِ مَعَادِ
واسْتَزِيدِي بِمَا حَمَلْتِ على السَّا — حِ نَقَاءً مِنْ عُدَّةٍ وعِدَادِ

(١) «خيبر»: وادي مشهور في أفغانستان.

وانْثُرِي الوَرْدَ مِـلءَ كَـفَّيْكِ، هَاتَـي نَفْحَةَ الطِّيب، زَيِّنـــي كـــلَّ نَـادِ
وَأَعِيــدِي القَصِيــدَ في مَهْـرَجَــانٍ رَفَّ مِـنْ عُـــرْسِــهِ ومِـــنْ أعْيَـــادِ

٣٠/ ١/ ١٤٠٨هـ
٢٣/ ٩/ ١٩٨٧م



على أبــواب كابــول

شَـــوْقُ الجهَـــاد
وجـــلاَلُ النَّصــــر

أأَسكُبُ الشَّـوقَ مِنْ جَـفْـنٍ ومن كَبِــدِ ... ومِنْ رُؤىً وَصَلَتْ عَهْداً مضَى بِغَدِ

الذكْرَياتُ عَلَى أَطْلاَلِها نَهَضَــتْ ... تُعانِقُ المجدَ شَــوْقَ الأُمِّ لِلْوَلَــدِ

هُنَا اللَّيالي التي فَارَقْتُـها زَمَنــاً ... عادَتْ تُحَدِّثُ عَـنْ أَهْـلي وعَنْ بَلَـدِي

«كَابُـولُ» داري وَإِنْ شَطَّ المَزارُ فَمَـا ... يُقَـرِّبُ الــدَّارَ إلا لَـهْـفَـةُ الكَبِــدِ

فَحيْثُما كَانَ ذكْرُ اللهِ عُدْتُ إلِـــى ... حَبْـلٍ مِـن اللهِ مَوْصـولٍ ومُنْـعَـقِـدِ

أَنا انتسابي إِلى الإِسْلَام: كُلّ هَــوَى ... ماضٍ ويبقَى هوى ديني ومُـعْتَقَــدِي

للهِ دَرُّكِ يا «كَابــولُ» أيُّ شَـــذاً ... أَحلَى مِنَ الدَّمِ دفَّاقــاً مِنَ الــوُرُدِ[1]

أَزكى مِنَ الوَرْدِ فَوَّاحاً بِرَوضَتـه ... أَغْنَى مِن النَّـبْـعِ فَـوَّاراً على جَـدَدِ[2]

رَحِيـقُـهُ: في سـبيل اللهِ، نَـفْـحَـتُـه ... نَـصْــرٌ على عِــزَّةٍ قَعْسَاءَ لم تَحِــدِ[3]

كَـأَنَّـهُ عَبَـقٌ، والـسَّـاحُ تَـنْـشُـرُهُ ... مِلءَ الزَّمانِ، عَلَى الآفاقِ، في الـنُّجُـدِ

للهِ تَـسـكُـبُـه الأَبْـطَـالُ صَاعِـــدَةً ... عَلَـى مَـدَارِجِـهَــا آفَـاقَ مُـجْـتَـهِـدِ

إلى الجِنَانِ! إلى الفِــردَوسِ وثَـبَـتُـهـا ... تَـدُقُّ أَبـوابَـهـا دقَّـا بِـكُـلِّ يَــدِ

للنَّـاسِ إنْ أَظْلَمُوا نُــورٌ بِــهِ وَإِذا ... مَالُوا فَـمِـنْـهُ جَـلاءُ الحَـقِّ والـسَّـدَدِ

كَـمْ آيَةٍ عَرَضَتْ مِنْ طِيـبِـهَـا عَـبَـقـا ... عَلَى عُلاً زَاهِــرٍ فِي أُفْقِهَـا الـفَـــرِدِ

فَـقِـفْ هُنَا أَيُّها الانْسَــان في رَهَــبٍ ... واخْشَعْ إِلى اللهِ في سَـــاحَاتِـها وَعُـدِ

كَـمْ آيَـةٍ عَــرَضَتْ مِنْ طِـيـبِـهَـا عَـبَـقا ... عَلَى عُلاً زَاهِــرٍ فـي أُفْـقِـهَـا الـفَــرِدِ

---

(١) الوُرُد أَصلها الوُرْد وهي جمع الورد وهو نَور الشجر او الزهرة، ومن كل شيء بين الحمرة والصفرة.

(٢) جَدَدَ: الأَرض الغليظة المستوية.

(٣) قعساء: الثابت من العز.

فَـقِـفْ هُنَا أَيُّها الإِنْسَـــان في رَهَــبٍ ... واخْـشَـعْ إِلى اللهِ في سَـــاحَاتِــها وَعُـدِ

● ● ●

جَــلالُ نَصْـــرِكِ آيــاتٌ مبيِّنَــةٌ ... لِلـمُـؤْمِنين وغَيْـظُ الحَاقِدِ الـنَّـكِــدِ

عَشْــرٌ مَضـتْ! والـدَّمُ القَاني يُفَــجِّرُهُ ... مِن الوَرِيد وَفَـــاءُ الـعَـهْــدِ وَالـعُـدَدِ

لقَـــــدْ تَجَاوَزْتِ شَـكْـوَانا وواقِعَنَا ... وَقُمْتِ مِنْ غَـفْـوَةٍ رَكْضــاً إِلى كَبَدِ[1]

إِلى المَيَـــادِين يُجْـلَى فـي مَلاحِـمِـهــا ... حــقٌّ ويُـحْـسَــمُ مِنْ أَمْرٍ ومِنْ عُقَـدِ

هُنــاكَ بَيْنَ اللَّظى صُغْتِ الـسِّـياسَـةَ لا ... بَيْنَ الأَرائِكِ والأَطْبَـــاقِ والحَـفَـــدِ[2]

هُنَــاكَ صُغْتِ على المَيْدَانِ فَلسـفَـــةً ... تقُــولُ إِن شِـئتَ نَصْـــراً قُمْ لَهُ وجُـدِ

وَ عُــــذْ بِرِبِّكَ لا تُشْـرِكْ به أَحَـــداً ... وَمَنْ يَـعُـذْ بِـسِـــوى الـرَّحـمٰنِ لم يَسُـدِ

● ● ●

طفـــل من أَفغانســـتان

رَأَيْتُ طِفْلاً مِنَ الأَفْغَان يَسْأَلني ... مِنْ جَاءَ «بالرُّوس» زهوَ الظالِمِ الحَرِدِ[3]

أَليسَ عِنْدَهُمُ مَأْوى يَلُمُّهُمُ ... و غَرْسَةٌ حَمَلَتْ زاداً لِمُرْتَفِدِ[4]

ونَبْعَـــةٌ سَكَبَتْ مَاءً لذي ظَمَأٍ ... وحِكْمَةٌ مِنْ جَلاَءِ الدِّين والرَّشَـدِ

أَليسَ عِنْدَهُمُ طِفْلٌ تَحِنُّ لَهُ ... أُمٌّ فَتُطْلقهُ مِنْ شَـوْقِها ·لِدَدِ[3]

ما بَالُهُمْ أَقْبَلوا مِثْلَ الجَـرَادِ على ... زَرْعٍ فأَضحى رَبيعُ الأَرْضِ كَالجَرَدِ[4]

يا ليتَهُم صَبَروا حتّى نَمُدَّ لَــهُـمْ ... صَفْوَ النَّصِيحَةِ مِنْ دِيْـنٍ وَمِـنْ رَفَـدِ

فَقُلْتُ: مَهْلَكَ! شَرُّ المُحْدَثـات هَوى ... وشَرُّ ما في الهَــوَى قتـلٌ عَلَى عَمَـدِ

---

(١) كبد: مشقة.

(٢) الحَفَدُ: الأعوان والخَدَم.

(٣) الحَرِد: الغاضب.

(٤) مرتفد: مكتسب.

دد: اللهو ولعب الأطفال.

الجَرَد: فضاء لانبات فيه.

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ آفاتِ النُّفُوسِ وَمَـا ... يَـدُورُ مِنْ طَمَـعٍ فِيهَا ومِنْ حَسَـدِ
عَجِبْتُ لِلطفْلِ صَاغَ الحقُّ مَنْطِقَـهُ ... وَلَمْ يَجِدْ مَنْطِقُ الكُفَّارِ مِنْ سَنَـدِ
الحَقُّ أَبْلَجُ نَلْقَاهُ بِفِطْـرَتِنَـا ... عَفْوَ الطُّفُولَةِ صِدْقَ الشَّيْبِ والمَـرَدِ

• • •

ظلم الغُزاة
وسقوط راياتهم ومبادئهم

غَرَّ الأَعَادِيَ مَا لَمّوهُ مِنْ سَقَـطٍ ... ومِنْ عُقُـوقٍ مِنَ الأَرْحَامِ والوَلَدِ
وَ أَلَّفُوا حِزْبَهُمْ مِنْ كُلِّ مُنْقَطِـعٍ ... عَنِ المُروءَةِ خَـوَّانٍ وَ مُنْجَـرِدِ[1]
أَتَـوا إِليكَ بِكِبْرٍ شَامِـخٍ صَلِفٍ ... وزَهْـوَةٍ مِنْ غُرورِ النَّفْسِ والصَّيـدِ[2]
وَحَوْلَهُمْ كُلُّ نَذْلٍ غاصَ فِي شَرَكٍ ... من الخَدِيعَةِ مِـنْ زُورٍ ومِنْ فَنَـدِ[3]
كَـأَنَّهُـمْ حَسِبُـوها لُقْمَـةً سَهُلَتْ ... مَا بَيْنَ أَنْيَـابِ خَطَّـافٍ ومُـزْدَرِدِ
وَمَـا دَرَوا أَنَّهَـا شَـوْكٌ بِحَلْقِهِمِ ... دَامٍ وَأَنَّ عِقَـابَ اللهِ يَومَ غَـدِ
فَـأَدْبَرُوا وَذُيُولُ الخِـزْيِ سَاحِبَـةٌ ... مَا بَيْنَ مُنْفَطِـرٍ مِنْهُـمُ ومُرْتَعِـدِ

• • •

أَيْنَ المَبَادِئُ والرَّايَاتُ يَرْفَعُهَـا ... بينَ المَجَازِرِ غَازٍ غَيرُ مُقْتَصِـدِ
دِيْسَتْ بِأَحْذِيَةِ الغَازِينَ أَو سُحِقَـتْ ... بَيْنَ الجَمَاجِمِ والأَشْـلاءِ والعُـدَدِ
وَضَاعَ كُلُّ فَتَى أَدْلَى بِدَلْـوِهِـمِ ... أَوْ غَرَّهُ زُخْرُفُ الأَوهَامِ وَالجَحَـدِ

(١) مُنْجَرِد: مُتَعَرٍّ من ثوبه.
(٢) الصَّيَد: ميل في العُنُق من مَرَض يعطي هيئة الكبر.
(٣) الفَنَد: العَجْز، الكفرُ بالنعمة، الكذب، خطأ الرأي، الخَرَف.

كَمْ لَوَّحُوا بِيَدٍ حُرِّيَّةً ولَــــدَى ... جلاّدِهِمْ جُثَثُ الأَحْـــرَار لم تَبِدِ

سِيَّانِ «مُسْكُو» وَ «أَمْرِيكا» فَكفْرُهمـــا ... شرَّان ما بَيْنَ ســفَّــاحٍ ومُضطـهِـدِ

هذا يُقتِّلُ فِيْ شَعْبٍ ويَنْهَبُــهُ ... وَذَا يُقطِّعُ مِنْ سَاحٍ ومِنْ بَلَــــدَ

وَكُلُّهُمْ في دِمَاءِ الخَلْقِ غَارِقــةٌ ... أَكُفُّهُمْ! عَنْ هَــوَى الإِجْـرام لَمْ تَـعُـدِ

كَأَنَّما النّاسُ أَنْعَامٌ مُذَلّلَــةٌ ... لِغَيِّهِمْ! وَبِسَاطُ الأَرْضِ مُـلْـكُ يَــدِ

حَتّى رَأَوْا آيَةً لِلّه صادِقَــةً ... عَلَى ذُرَاكِ وفـي الوِدْيـان والجُــدَدِ[1]

مِنْ عَزْمِ أَشْعَثَ خَطّارٍ بِمَكرُمَـةٍ ... لَمّا تفجّر مِنْهُ الــدَّمُ قِيلَ هُــدِي

● ● ●

مَــوْكِبُ الأَبْــطَــال وبِــرُّ الرِّجَــال

ظَمِئتِ «كَابُــولُ» مِنْ شَوْقٍ إلى بطلٍ ... ومن حَـنيـنٍ إلى بِرِّ الرجَال نَـــدِي

ظَمِئتِ يا مَصْنَعَ الأَبْطَالِ، كَمْ وَثَبَــتْ ... مِـنْكِ البُطُولَةُ وَثْبــاً واسِــعَ المَدَدِ؟!

ظَمِئتِ؟! ماذا سَقَاكِ الرُّوس وَيْحَهُــمُ ... وأَينَ مَا قِيل عَنْ رَيٍّ وَعَــنْ رَغَــدِ؟!

سَقَــوكِ مَاءً أُجَاجــاً زادَ من ظَــمَــأٍ ... ومِنْ لَهِيبٍ على الأَحْشَــاء مُـتَّــقِــدِ

كَابُــول! طيبي إذن نَفْساً وعافِيَــةً ... فسوفَ يأتِيك بَرْدُ الفَارسِ الـنَّـجِـدِ[2]

صَبْــراً فَهٰذِي زُحــوفُ الصَّادِقِين أتتْ ... لِتَسْكُبَ الرَّيَّ مِنْ قَلْــبٍ ومِنْ كَبِــدِ

● ● ●

لله درُّ «جَميــلٍ» في مُنَــازَلَــةٍ ... شَـقَّ الميـادِيـنَ سَيَّـاقـاً إلى رَشَـــدِ

يَــدْعــو إلى الله والقــرآن حُـجَّـتُــه ... وسُـنّـةٌ وجِـهَــادٌ طَاهِــرُ الـمَـدَدِ

---

(١) الجُدَد: جمع جُدَّة وهي الطريق.

(٢) النَّجِد: الشجاع الماضي فيما يعجز عنه غيره.

لله دَرُّكَ يَا «سَيّــاف» مِنْ بَطَــلٍ نَهَضْتَ لله سَيْفــاً سُــلَّ من غـمَـدِ

وكُـلُّ حَانِيَـةٍ فـي الـدّار داعِـيـةٌ لله دَرُّكَ يَا «مَـسْـعُــودُ» مِنْ أَسَـــدِ

لله دَرُّكُـمُ مِـنْ عُـصْبَـةٍ جَـمَـعَـتْ «قَلْباً حَكيماً» و «بُرْهَانا» وصِدْق يَدِ

وَ «صِبْغَةَ الله» أو «جيلانَ» كَمْ بَذَلُوا عَزْماً و «أَحْمَدَ شَــاهٍ» جَدَّ في صُـعُـدِ[1]

«محـمَّـدِيْ» و «أَمينـاً» لَمْ يَزَلْ بهِمَا دفْقُ الجِهَادِ و «عَبْدَ الـحَـقِّ» في سَدَدِ

و «يُونُســاً» ورجَــالاً للجهــادِ مَضَوا كَأَنَّـهُـمْ في سِبَـاقٍ أَو عَلَى طَـرَدِ

مِـنْ كُلِّ أَصْيَدَ وَثّـابٍ على قِـمَـمٍ كالبَرْقِ يَخْطَفُ مِنْ أُفـقٍ ومِــنْ أَمَـدِ

شَـعْبٌ أَبَـرُّ عَلَى تَقْـوى الجِهَـادِ لَهُ سَعْيُ الأُباةِ وخَطْـوٌ غَيْـرُ متَّئِــدِ

صُبّــوا لَها الرَيّ! مَا أَحْلى الوفَــاءَ لهــا وَأَطْفِئـوُا ظَمَــأَ الأَحْنَــاءِ بالبَـــرَدِ

فكُـــلُّ طِفــلٍ على سَاحَاتِــهَا ظمِــيءٌ وكُلُّ شَــخٍ يُنَادي أَيْنَ مِـنْ عَـضُـدي

وَكُلُّ كَاعِبٍ حَيٍّ بِالتُّقَى الـتـفَـعَـتْ مَا بَيْنَ عِزَّةِ طُهْــرٍ أَوْ حَيَـا خُـــرُدِ[2]

● ● ●

مواقــع وملاحــم

بين «خُسْت» ، «جلال أباد» ، «هرات» ، «بلــخ» ، جبال هندكوش

«جبال سليمان» ، «وكابل» وسائر أَرض أفغانستان

سَلُوا مَرَابِع «خُسْتٍ» عَنْ وَقَائِـعـهَــا وعَنْ لَهِيــبٍ على السَّــاحَاتِ مُتَّـقِـدِ

وَعَـن فَوَارِسَ طَارُوا كالبُــروقِ لَـهَـا بَرْقُ الحُتُوفِ وبَرْقُ الزَّحْفِ والرعَـدِ

---

(١) صُعُد: جمع صعيد وهو وجه الأرض.

(٢) الخُرُد: جمع خَريدة وهي الفتاة البكر التي لم تُمسَس.

حَيَا: حِشمة.

سَلُوا «جلاَلَ أَبَادٍ» كَمْ أَحَـاطَ بِهَـا ... عَزَائِمُ الحقِّ مِنْ صَبْـرٍ ومِـنْ جَلَـدِ
يَلْتَـفُّ حَوْلِ رَوَابِيهَا غَطـارِفَةٌ ... صِيْـدٌ تَـدَافَـعُ كالأَمْـواجِ والـزَّبَـدِ
تـرْمِي عَلَى لَيْلِـهَـا مِنْ كـفِّـهَـا شُـعَـلاً ... فتستَضِيءُ دَيـاجِي الـبِيْدِ والـنّجُـدِ[1]
سَيَطْلُعُ النَّصْـرُ فَجْراً شَـقَّ مِنْ سُـبُـلٍ ... حُمْرٍ وَفَتَّح مِنْ حِصْنٍ ومِنْ سُـدَدِ[2]
ومِنْ بَصَائِرَ أَعْشَاهَا الهَـوَى فَهَـوَتْ ... ومِنْ قُلُوبٍ رَمَاهَا البَغْيُ بالكَمَـدِ

● ● ●

سَلُوا «هراتا» و«بَلْخاً» كُلُّ موقِعَـةٍ ... آيٌ على طَـارِفِ الأَمجادِ والتّلُـدِ[3]
والمُؤْمِنُـونَ حُمَاةٌ، عَنْكِ كَـمْ دَفَعُـوا ... مِنْ الـوحُـوش ومِنْ ذِئْـبٍ وَمِنْ قِـرَدِ
سَـلُـوا «سَلَنْج» وَمَاصَبَّ العَـدُوُّ بِـهِ ... مِنْ اللَّظَى حُمَـماً فَتَّاكَةَ الـعُـدَدِ
جَـعَـلْـتِ مِنْه مَعَ التَّقْـوى حَيَـاةَ أَخٍ ... ولِلْعِدَى هَبَـوَاتِ المـوْتِ والـرَّصَـدِ
عَلَى «جبَالِ سُلَيمَـانَ» الـدِّمَا انْتَشَـرتْ ... نُوراً تَفَـتَّـحَ زَهْوَ الحُسْـنِ والـرَّأْدِ[4]
ومِنْ ذُرَى «هِنْدِكُـوش» أُمَّةٌ طَلَعَتْ ... تُمُدُّ أَمجَادَهَا فِي السَّـاحِ والأَبَـدِ
وعِنْد «جِيْحُونَ» فَوْحُ المكْرُمَات شَذاً ... لله دَرُّكِ يَـا أَفـغَـانُ مِنْ بَـلَـدَ
«بَـنْـشِـيـرُ» يَاوَادِيَ الأَبْطالِ هَـاتِ لنـا ... رَوَائِعـاً وُصُـغِ الأَمجَـادِ واتّـقِـدِ
وَاجْعَلْ لهيبَكَ دَفْقاً مِنْ دِمَاءِ فَتـىً ... لله أَخْلَصَ فِي بَـذْلٍ وفي زُهُـدِ
أَرْضَ الشَهَادَةِ! حَتَّى خِلْتُ سَـاحَتَها ... فَوْحَ الجِنَانِ ونَـشْـرَ العِطْرِ والـوُرُدِ

● ● ●

للهِ دَرُّكُمُ مِنْ عُصْبَـةٍ طلْـعَـتْ ... فِي كُـلِّ مَنعَطَـفٍ آيا لِذي رَشَـدِ

---

(١) النُّجد: جمع نجد وهو الأرض المرتفعة.
(٢) السُّدَد: الأبواب.
(٣) الطارف: الجديد، التُلُد: جمع تليد وهو القديم.
(٤) الرأد: الارتفاع.

مِيلُوا «لِكَابُـولَ» صَفّاً لا يُمَزِّقُـــهُ ... هَوىً عَلَى فِرَقٍ شَتَّـى ولا قِـــدَدِ
صَفّاً إِلى اللهِ مَرْصُوصاً دَعَائِـمُـــهُ ... تَقْـــوى تُثَبِّتُ مِـنْ أُسٍّ ومِـــنْ عُمُـدِ
أَمَا سَمِعْتُمْ نِداءً مِن مَـآذِنِـهـا ... «اللّـهُ أَكْبَـرُ» مَنْ يَصْـدُقْ بِهِ يَـرِدِ
فَأَلهبُوا الدَّرْبَ مِنْ إِقْـدامِكُم شُعَـلاً ... لِيُشْرِقَ الفَجْرُ مِلءَ الأُفْقِ والنُّجُدِ
وفَتِّحُـــوا دُونَها الأَبْوابَ، عَهْـدُكُـمُ ... عَهْدٌ مع اللهِ لَمْ يُنْكَثْ ولَمْ يَـحِـدِ
ضِيْقُ الحِصَارِ على عِـزِّ الـتُّـقَـى فَـرَجُ ... وفُسْحَةُ الكُفْرِ ضِيْـقُ الـذُّلّ والـنَّفدِ[1]
ما النّصرُ إلاّ مِنَ الرَّحْمٰنِ جَـوْلَتُـهُ ... بَذْلٌ مِنَ الرُّوحِ تُوْفيهِ وَبَـذْلُ يَـدِ
هُـنَاكَ فَرَّ عَـدُوُّ اللهِ مُـنْـخَـذلاً ... وَذَلَّ في النَّاسِ ذُلَّ الـعَـيْـرِ والـوتَـدِ
فَـأَدِّبُـوهُ بِوَعْـظٍ أَوْ بِـقَـاصِـمَـةٍ ... إذا أَبَى وبِحَـدِّ اللهِ وَ الـحَـدَدِ[2]

● ● ●

بيـن كـابـل وفـلسـطيـن

«كَابُـولُ»! لي مَنْزِلٌ كَانَتْ مِلاَعِبُهُ ... مَغْنَى الـصِّـبَا وَرَفِيفَ الطَّائِرِ الغَرِدِ
هُنَاكَ بَيْنَ ظِلاَلِ البُـرْتُـقَالِ سَـرَى ... نَفْحُ العُصُـورِ غَنِيَّ الجُـودِ والمَدَدِ
هَل البَسَاتِين مَازَالَـتْ تَـلُـمُّ بِـهَا ... أَحْلَى الثِمَـارِ وأَحْلى العِطْـرِ والشَـهَـدِ
هَل العَصَافِيرُ مِنْ أَعْشَـاشِهـا خَرجَـتْ ... مَعَ البُكُورِ وَهَـلْ زَهْـرُ الرِيّـاضِ نَـدي
هَلِ المُـروجُ، هَلِ الأَنْسَـامُ، هل زَهَرٌ ... يَموجُ بَيْنَ غَـنـىّ الحَلْـيِ والبُـرُدِ
كَأَنَّ وَشْوشَةَ الـزَّيْتُون أُغْـنِيَـــةٌ ... تَقُـولُ: هذي مَيَادِيْـنُ الـرَّدى فَـرِدِ
وَقَالَ لي زَهَرَ اللَّيمُـــون: مَهْـلَـكَ لَنْ ... أَجُـودِ بالعِطْـرِ! قَدْ أَمْسَكْـتُ جُـودَ يَـدِ
خَـبَّـأْتُ كُلَّ عُطُـوري في مَجَامِرِها ... نَــدِيَّـةً لِشَـهِيدِ الـحـقِّ والـسَّـدَدِ

---

(١) النَّفَد: الانتهاء والفناء.
(٢) حدُّ الله والحَدَدِ: حكم الله الذي يحجز ويمنع.
والحَدَد: تأديب المذنب بما يمنعه وغيره من الذنْب.

يُعيدُ لي مُهْجَةً كَمْ كُنْتُ أَرْقُبُها نَقِيَّةً صَدَقَتْ للواحِدِ الأَحَدِ
وَيَسْكُبُ العِطْرَ مِنْ أَوْداجِهِ عَبَقاً دَماً تَفَجَّر مِنْ قَلْبٍ ومِنْ كَبِدِ
يَرْوِي جُذُوراً مِنَ التَّارِيخِ ضَارِبَةً في الأَرْضِ أَو أَغْصُناً رفرافَةَ المَلَدِ
أَزْكَى مِنَ العِطْرِ مَاجَادَ الفُؤادُ بِهِ نَفْحاً يَظَلُّ غَناءَ الأَعْصُرِ الجُدُدِ
هٰذِي فِلَسْطِين جَنّاتٌ مُفَتَّحَةٌ وَرَبْوَةٌ مِنْ مَعِين المَاء والبَرَدِ
تَظَلُّ مَلْحَمَةُ الإِيْمَانِ دَائِرَةً فِيها وَدَفْقُ دِمَاءِ المؤمِنِينَ نَدِي

● ● ●

غضبة الزيتون
وعتاب النّسيم

وَقَال لِي شَجَرُ الزَّيتُون: وَيْحَكَ سَلْ كُلَّ الرَّوابي على ما طَالَ مِنْ أَمَدِ
إِنِي لَغَرْسَةُ إِسْلَامٍ وَلِي نَسَبُ في الدِّين فاقرأْهُ في آيٍ وَمُعْتَقَدِ
وَقَالَ لي كُلُّ مَا في الدّار من شَجَرٍ وكُلُّ مَا غَارَ أَو مَا اشْتَدَّ مِنْ صُعُدِ
مَنْ ذا يُمَزِّقُني؟! مَنْ ذا يُقَطِّعُني مِنْ ذَا يَبِيعُ غِراسَ العِزِّ والرَّأَدِ
أأَفْصِلُ القُدْسَ عَنْ عَكَّا وشاطِئها وغَزَّةً وَرُبَى نَابُلْسَ عَنْ صَفَدِ
الأَرْضُ أَرْضِيَ، أَرْضُ المُسْلمين فَمَنْ تُراهُ وُكِّلَ في بَيْعٍ وفي سَنَدِ
مَنْ ذا يُقِيمُ دُويْلاتٍ مُمَزَّقَةً كَأَنَّها رُقَعٌ في ثَوْبِ مُنْجَرِدِ
أَو أَنَّها سُبَّةٌ في الدَّهْرِ عالِقَةٌ لَا تَنْمَحي! وَ عَذَابُ الله شَرُّ غَدِ
وَ نَسْمَةٌ حُلْوَةٌ مَرَّتْ تَقُولُ لَنا ومِلْؤُها عَبَقُ السَّاحَاتِ والنُّجُدِ
لا يَجْمَعُ الله نَهْجَ المؤمِنِينَ عَلى نَهْجِ الفَسَادِ، وَلَا دَرْباً على فَنَدِ
لَيْسَ النَّوافِرُ أَبْنائي وإِنْ وُلِدُوا هُنَا، وَلَيْسَ عَدُوُّ اللهِ مِنْ وَلَدي
بَرِئْتُ لله مِنْ صَفٍّ يُوَحِّدُهُ ذُلُّ التُّراب وشَكلُ اللَّحْم والجَسَدِ

وَ عُـذْتُ بالله حَتَّى قُلْتُ مِن كَـمَـدٍ يَالَيْتَنِي كُنْتُ لـمْ أُنْجِـبْ وَلـمْ أَلِدِ
المـؤمِنُونَ هُمُ الأَنْسَابُ صَادِقَـــةً واللهُ دوُنَ جَمِيـــعِ الخَلْقِ مُعْتَمَـــدي

● ● ●

طِفْـلٌ مِنْ فلســطين

رَأَيْتُ طِفْلًا عَلَى سَاحَاتِهَا كُسِـــرتْ يَدَاه والسَّــاقُ عَنْ كَيْـدٍ وَعَنْ عَمَـدِ
وبَيْنَ جفْنَيْـهِ شَـيءٌ لَسْتُ أَعْرِفُـه كَأَنَّهُ الـدَّمْعُ بَيْنَ المَاءِ والجَمَـــدِ
فَقَالَ إِنِّي حَبَسْـــتُ الـدَّمْعَ يَمْـنَـعُـهُ مِنِّي الإبـاء وصِدْقُ العَـزْمِ والجَلَـدِ
وَلَا يَـرَانِي عَـدُوّي! إِنْ تَـكُـنْ كُسِرَتْ يَدَايَ فالعَـزْمُ لَمْ يُكْسَـرْ ولم يَكَـدِ
لكن يَكَـادُ يُذيبُ الـدَّمْعَ يَدْفَعُـهُ على خُدُودِيَ هَجْـرُ الأَهْلِ ، ضِيقُ يَدي
أَنَا انْتِسَابِـيْ لِـدَارِ المُسْلمِينَ فَهَـلْ أَظَـلُّ في عَالَـمٍ نـاءٍ ومُـنْـفَـردِ
كُلٌّ يُصَفِّــقُ لِي! والنَّارُ تأكُلُـــنِي والنّاسُ في شُـغُلٍ عَـنِّي وفي زُهُـدِ
أَيْنَ المَلايين مِنْ أَهْلِي ومِن رَحِمِـــي أَينَ المَدافعُ في زَحْـــفٍ وفي حَشَـــدِ
أَظَـــلُّ أَحْمِـــلُ أَحْجَارِي وأَقْذِفُهَا إِلى متى؟! وَعَدُوِّي كاملُ العُـــدَدِ
وَلَمْ أَجِدْ مَدْفَعاً في السَّـــاحِ يَحْمِلُـنِـي وَلا الـرَّصاصَـــةَ! إِلّا في حَشا كَبِدي
صُـبُّـوا جُمُوعَكُـــمُ في سَاحِهَا فَهُنَا خَصْـــمٌ تَطَلَّـــعَ للآفَـــاق والصُّعُدِ
إِذا رَكَنْتُـــمْ أَتَى مِنْ كُـــلِّ نَاحِيَةٍ يَسْطُو وَيُفْسِـــدُ في رِزْقٍ وَفــي وَلَـدِ
ويُفْســـد النّاسَ عن دين وعن خُلُـقٍ وَتِلْكَ حَالِقَةُ الآفَــاتِ والعُقَـــدِ
سَـأَجْعَلُ الحَجَـرَ المَـوَّارَ قُـنْبُلَـةً وَ أُلْهِـبُ الأَرْضَ مِنْ نـارٍ ومِن وَقَـدِ
وأَمْــلَأُ الأُفُــقَ هَـدَّاراً بِـقَـاذِفَـــةٍ مِنْ الصَّـــوَارِيخِ أُلقِيهَا على لُـــدَدِ
سَيَنْثَنِي الطِّفْل عِمْلاقـــاً بِسَاحَتِهـــا يَدُكُّ مِنْ قُلَـلِ الكُفَّـــارِ أَو عُمُـــدِ
وَيَنْثَـنـي حَجَـــرُ الأَطْفَـالِ عَاصِفَـةً تَجْتاحُ مِنْ قَلْعَـــةٍ فيهم ومِنْ سُـــدَدِ

حَتَّى يَقُــولَ بَنُو الدُّنْيا وقد ذُهِلُــوا: هُنَا إِذن أُمّةُ الإِسْــلامِ لم تُبَـــدِ

عَادَتْ لِيَسْعَــدَ في أَفْيائِهــا أُمَــمٌ وينْعَمَ النّاسِ في أَمْــنٍ وفي رَغَـــدِ

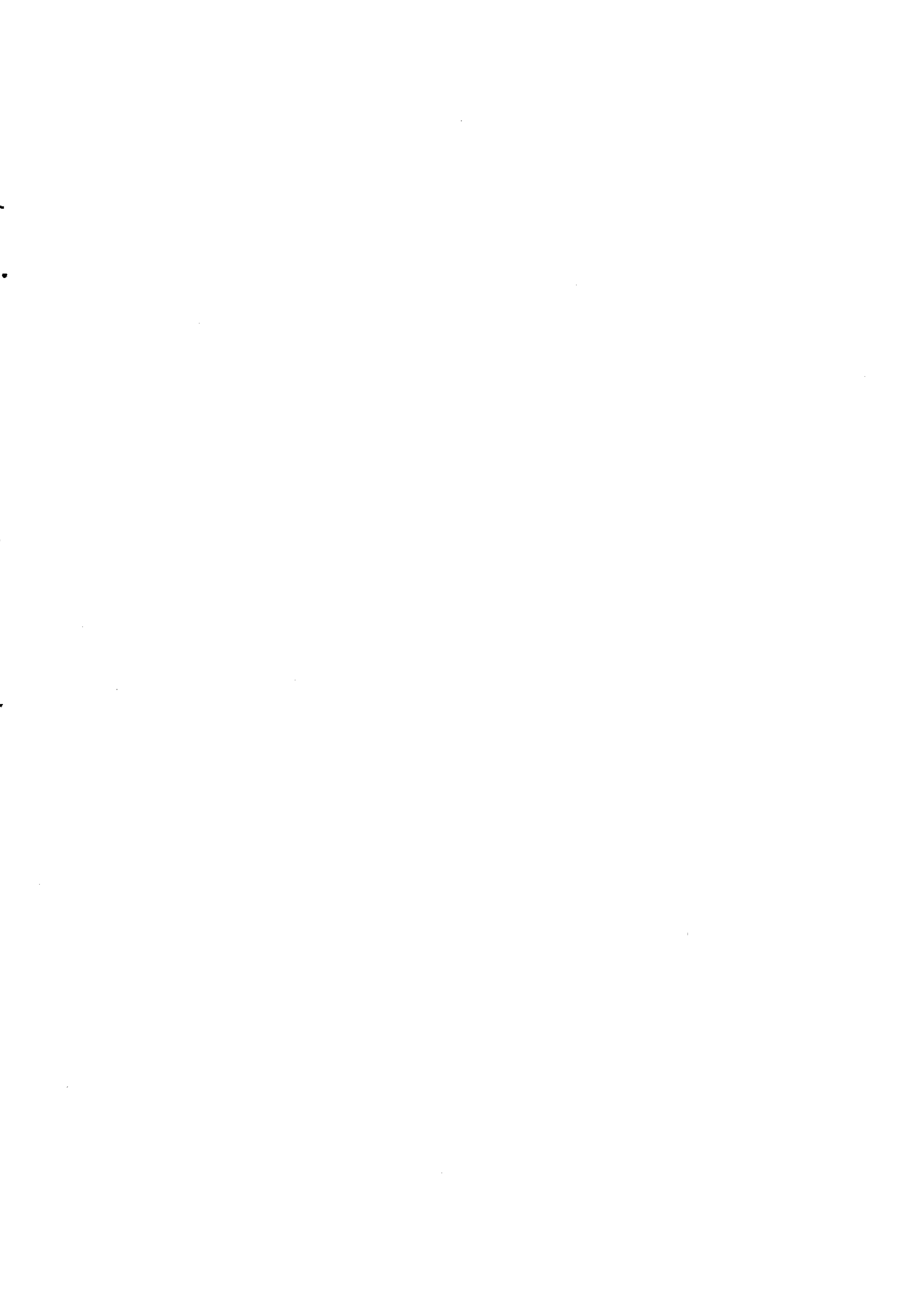
نَمْضي لِنَحْملَ للدُّنيــا رِسَالَتَنـــا وَنَدْعُوَ الخَلْقَ للإِيمَـــان والرَّشَـــدِ

وَنِــدْعُوَ النــاسَ أَنْ لايُشْرِكـوا أَبــداً وَلاَ يُنَــافِــقَ إِنســانٌ إِلــى أَحَـــدِ

● ● ●

٨/ ٨/ ١٤٠٩هـ

١٥/ ٣/ ١٩٨٩م



الشيخ عبد الله عــزام وولــداه
وإخوانهــم الذين ســبقوهم

جَــلالُ اَلْمَــوت

جَــلاَلَ مَــوْتِكَ أم صِدْقُ الجِهَــادِ أرَى ... ودفْقَةُ الـدَّمِ أمْ عِـطْـرُ الـوُرُودِ جَـرَى
نُــورٌ عَلَى عَبَــقٍ، هَدْيٌ على خُلُـــقٍ ... عَـزْمٌ عـلى سَبَـقٍ أوفـى ومـا خَـفَـرا
رَيْحَـانَـتانِ عَـلَى جنبيْكَ أقْبَـلَـتَـا ... فَخُضْ إذنْ بِـهِما الأهْـوالَ والـخَـطَرا

● ● ●

مِيــلُوا إلى الـدَّارِ! أنْبَـاءٌ مُـرَوِّعَــةٌ ... وغَـضْـبَـةٌ أطْـلَـقَـتْ مِـنْ وقْدِها الشَّرَرَا
أطُوفُ في السَّاحِ لاَ ألْقَى سِــوَى رَجُلٍ ... مُـزَمْـجِـرٍ وفَـتَـى ألـوى ومـا انـتـظرا
ونِـسْوَةٍ! والدُّمُــوعُ الغَاليــاتُ بِهَا ... صَبَبْنَهَا غُـصَـصَــاً تَـرْوي لَـنـا الخَبرا
ودَفْـقَـةٍ مِنْ كُبُودِ النَّاسِ جَــارِيَـــةٍ ... حَرَّى فَـتُـطْـلِـــق مِنْ أنَّاتِها النُّذُرَا
كَــأنَّ كُـلَّ فُــؤادٍ مِــنْ تَـلَـوُّعِــهِ ... هَوَى إلى الـسَّـــاحِ بالأحْـزَانِ فانْفَطَرا

● ● ●

سَــأَلْتُ مِنْ حَوْلِيَ الفِتيَــانَ، قُلْتُ لهُمْ ... أيْــنَ الكَمِــيُّ؟! فَقَالُــوا: عَزَّ وانْتَصَـرا
وَنَـالَ مِنْ رَبِّهِ الحُـسْنَـى فَفازَ بِهَـا ... عَيْشاً أغَـــرَّ وَعُــمْــراً نَـضَّرَ العُمُـرا
وَعادَ قَاتِلُــهُ مِنْ هَــوْلِ ما صَــنَــعَت ... يَدَاه مَـيْـتــاً ومِـمَّـا كَـادَ أو مَـكَـرا
تَـفَـجَّـر الـحِـقْــدُ لا مِـنْ قَلْبِ قُنْبُلَةٍ ... مِنْ الـحَـديدِ ولـكِـنْ قَـلْـبُـه انْفَجَـرا
كَــأنَّـما غَلَتِ الأحْقَــادُ واشْـتَـعَـلَـتْ ... مَعَ الهَوَى حُـمَـمـاً ألْـقَـتْ به سَـقَــرا
يَمُــوتُ كُـلُّ شَـقِـيٍّ فــي مَكَــائِــده ... أمَّــا التَّقيُّ فيلقَـى كُـلَّ مَا ادَّخَـــرا

● ● ●

وَقَالَ كُلُّ فَتــىً: وَاهـــاً لِنَازِلَـةٍ ... حَــلَّـــتْ، وَيَا لعَـــدُوٍّ بالأذى جَهَرا
فَــرُبَّ فَاجِعَـةٍ مِن مُجْــرِمٍ وقِعَـت ... وطَعْنَةٍ مِنْ جَـبَـانٍ دونَـنَـا غَـــدَرا

لله نَرْجِعُ أَوَّابِينَ إن نَزَلَتْ … بِنَا النّوازِلُ عَزْماً مَّا صَحَّ واعتَبَرا
قَدْ كان مَدْرَسَةً يُلْقي بِسَاحتِها … أَغْنَى الدُّروس ويُلْقي عِنْدَها العِبَرا
أَبٌ يعلِّمُنَا التّوحِيدَ في لَهَبٍ … مِنَ المَلاحِمِ نَتْلُوا عِنْدَها السّوَرَا
أَخٌ لنا وأَبٌ! يَاطِيبَ مَرْحَمَةٍ … مِنْهُ تُفوِّح في مَيْدَانِنَا زَهَرا
وَقَالَ كُلُّ كَميٍّ: إِنَّهُ رَجُلٌ … طَلَّتْ رؤاهُ تُنَقِّي القَلْبَ والفِطَرا
أَخٌ يُجَمِّعُنا في كُلِّ مُعْتَرَكٍ … ويبسطُ الأَرضَ مَيْداناً لِمَنْ صَبَرا
مَعَ الأَئِمَّةِ أَشْيَاخِ الجِهَادِ هُنَا … بَنوا شَوامِخَ أَو صَاغُوا لَنَا الدُّرَرا
كَأَنَّما طَلَعُوا مِنْ قَلْبِ داجِيَةٍ … مِثْلَ البُدُور فَسَالَ النُّورُ وَانْتَشَرا
في أَرْضِ أَفْغَانَ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ … ومَلْحَماتٌ تُعِيدُ المَجْدَ والأَثَرا

● ● ●

حنين فلسطين

عَهْدٌ مَعَ الله، عَبْدَ الله اقُمْتَ لَهُ … عَزْماً تَشُقُّ عَلَيهِ دَرْبَك الوَعِرا
تَرَكْتَ خلفَكَ أَشْتَاتاً يُمَزِّقُهَا … طولُ الهَوَانِ ويَرْمِيهَا الهَوَى زُمَرَا
مَازال يَطْحَنُهُمْ حُبُّ الحَيَاةِ عَلَى … ذُلٍّ ويَطْوِيهُمُ في جَوْفِهَا خَبَرا
وجِئتَ تَطْلُبُ أَشْوَاقَ الجِهاد هُنَا … دَماً تَفَجَّرَ في سَاحاتِهَا فَجَرَى
أَتيتَهَا وَلَنَا في أَرْضِهَا نَسَبُ … مِنَ التُقَى وحَبَالٌ بيننا وَعُرَى
وَتَّقتَ في لَهَبِ الميْدَانِ آصِرَةً … ولُحْمَةً تَجْمَعُ التَّاريخَ والعُصُرَا
وفي رُبَاهَا لَنَا ذِكْرَى مُعَطَّرَةٌ … وأُمَّةٌ دَفَعتْ أَفْلاذَها الغُرَرَا
صَحَابَةً لِرَسُولِ الله يَحْمِلُهُمْ … شَوْقُ الجِهَادِ ودِيْنٌ عَلَّم البَشَرا
طُيُوفُهُمْ لم تَزَلْ في كُلِّ ناحِيَةٍ … ذكرى لتَبْعَثَ في أَجيالِهَا الظَّفَرا

● ● ●

أَفي «قِطَاعِ جِنينٍ» ربْوةٌ طَلَعَتْ ... تُخْفي الحَنينَ وَتَطْوي السُّهْدَ والسَّهَرا
تَلفَّتَتْ وإِيَاءُ العَزْمِ يُمْسِكُهَا ... عَن البُكاءِ ودَفْقُ الشَّوْقِ مَا صَبَرا
مَعَ الشُّرُوقِ لَهَا مِمَّا تُكَابِدُه ... ذِكْرَى تُرَجِّعُ في سَاحَاتِها الصُّوَرا
كَأَنَّها اليَوْمَ مَا زَالَتْ تُوَدِّعُهُ ... تَقُولُ: عُدْ فَغَداً تَلْقَى هُنا الوَطَرا
كَأَنَّهُ قَالَ: هَلْ أَبْقَى عَلَى دَعَةٍ ... حتَّى يُفِيقَ الذي أَغْفَى وَمَا شَعَرا
لِي رايَةٌ مِن كِتَابِ اللهِ أَرْفَعُهَا ... إِلَى الجِهَادِ وعَزْمٌ يَصْدُقِ الخَبَرا
لا أَستظِلُّ بِرَايَاتٍ وقد جَمَعَتْ ... فَتىً يُدَاهِنُ دُنْيا أُوفتىً كَفَرا
وَلاَ أُسَاوِمُ في حَقٍّ رَواهُ لَنَا ... دَمُ الجُدودُ ودِينٌ عَطَّرَ السِّيَرَا
هُنَاكَ مَيْدَانُنا مَوْجُ الدِّمَاءِ به ... يَدْعو لَه صُدُقاً للهِ أَو صُبُرا

● ● ●

يَا رَبوَةً لَمْ تَزَلْ تحنو فَيَدْفَعُها ... طُولُ الحَنينِ فتشكُو الهَمَّ والكَدَرا
تقولُ كلّ مَسَاءٍ وَهي صابِرَةٌ ... أَلَمْ يَحِنْ أَوبُ مَنْ أَوفَى ومَنْ بَكَرَا
تُطالِعُ الأُفْقَ! تَهْوَى طِيبَ عودَتِهِ ... وتَسْأَلُ النّاسَ مَنْ وَلَّى وَمَنْ حَضَرا
وَتَسْأَلُ اللَّيْلَ: كَمْ قَدْ كُنْتَ تَحْمِلُهُ ... على الدُّروبِ يَجُوزُ الكَيْدَ والحُفَرا
كم كَانَ يُضْنِيهِ طُولُ اللَّيْلِ يَقْطَعُهُ ... مَعَ القِيامِ ويَتْلوا الآيَ والسُّوَرا
وَتَسْأَلُ الفجْرَ: كم قَدْ كُنْتَ تَحْمِلُهُ ... إِلى المَسَاجِدِ يَجْلُو عِنْدَهَا الذِّكَرا
كَمْ كُنتَ تَحْمِلُ مِنْ أَشواقِهِ أَمَلاً ... إِلى الجِهَادِ غَنيَّ الشَّوقِ مُسْتَعِرَا
حَتَّى القُبُورُ التي فِي سَاحِها سَأَلَتْ ... أَينَ الفَتَى غَاب عَنْ سَاحَاتِهَا وسَرَى
وكُلُّ ظِلٍّ مِنَ الزَّيتُونِ يَعْرِفُهُ ... لَمَّا نأَى مَالَ يَطْوِي الشَّوقَ وانْحَسَرا
كَأَنَّمَا لَهْفَةُ الأَقْصَى لِطَلْعَتِهِ ... دوَّتْ تُرَجِّعُ مِنْهَا الشَّوْقَ والنُّذُرا
كُلٌّ يَقُول: أَيطْوي العُمْرَ مُغْتَرِباً ... مُهَاجِراً في سَبيلِ اللهِ مصطَبِرا
فَعَادَ مِنْ قِمَمِ الأَفْغَانِ رَجْعُ صَدىً ... يُوحي ويَنشُرُ مِنْ أَصْدائِهِ عِبَرا

هُذي الميادين دارُ المـؤمـنِـيـنَ فَـمَـــــا تَرَى غَرِيباً بهَا أَو جَاحِـــداً أشِــرَا
هُـنَا لَـنَا وَطَـنٌ حَـنَّـتْ لَـهُ أَبَـــــداً أكْبَادُنــــا وجهـادٌ لـم يَـزَلْ خضــرا
مَا كَـانَ فِينـا غَرِيـبـاً في الــدِّيَـارِ أبُو مُحَـمَّـدٍ وهَـوَانَـا جَــلَّ وازدَهَـــــرا
لنـا بِحِـكْـمَتِه جَمْـعُ القُلـوبِ إذا ذَرَّ الخِـلافُ بِقَـرْنٍ بَيْـنَنَا وجَـــرَى
قَـدْ كَانَ عَـنْ خُـلُـقٍ يَطْوي نَوازِعُنَـــا وَعَنْ هُـدىً يَنشُــرُ الخَيْـرَ الذي ظَهَــرَا
نَطْـوي على شَرَفِ الـذِّكْـرَى مَحَاجِـرَنَا عِـزّاً ونَـحْـفَـظُ في أكْـبَادِنَـا الـذِّكَــرا

● ● ●

مواكب الشــهداء في ملحمـــة الإســـلام

تَأَلَّقـي يَاجِنَـــانَ الخُلْدِ كَمْ بَطَـلٍ إليك في زَهْـــوَةِ الأَشْـــوَاقِ قَدْ نَفَرا
مُضَمَّخـــاً بِزَكِّي الطِّيبِ يَنشُــــرُهُ مُجَلَّلاً بِهُـــدَى الإحْســـان مُؤتَـــزِرا
يَحُفُّــهُ في جَــلَالٍ مِنْ شَهَادَتِــــهِ نُورٌ ويُلْقي عَليـهِ سُنْدُســـاً خَضِــــرا
خَفَّـــتْ إلَيْه طُيــوفٌ مِنْ مَنائِـــرِهَا عِينٌ كَـــوَاعِـبُ تَجْلُو الحُسْـــنَ والحَــوَرا
كَـــمْ كانَ قَبْلُ عَلَى الدُّنيا يجُولُ بِهَــــا مُجَـــاهِـــداً في ســبيـلِ اللهِ مُنْـتَـصِـرا
مَاكَانَ يَخْـطُـو خُطـــاً إلَّا يَـــهُزُّ بها داراً مِن الـظَّـلـمِ أويَرْمِي بها جُـــدُرا
وَمَا خَطَـــا للهُــدَى إلا أَنَارَ بِـــهِ دَرْبـــاً وشَـــقَّ سَبِيـــلاً أو جَـــلا ظَفَرا
كُلُّ الرَّيَاحِيْنِ مِنْ أنْفَــاسهَ عَبِقَـتْ وكُل مِسْكٍ عَلَى جولاتــه انْتَشَـــرَا
يَكَـــادُ يَسْكُبُ في كُــلِّ الــدُّروب دَماً يَرْوِي بهِ الأَرْضِ أو يـروي به العُصُــرا
إنَّ الشهيد حياةُ الناس كُـلِّهِم فِيـهِ وكُــــلُّ رُواء الأَرضِ جَـــرى
يُعَـلِّـم النَّاسَ قَوْلَ الحقَّ أيْنَ مَضَـــوا ويَجْتلي في مَياديـــن التُّقَى الخَبَـــرا
لَــولَاه لَمْ يَبْـقَ للإحْسَـــانِ مَنْزِلَـــةٌ في النّاسِ أوصَادقٌ يـقْـفُـو له أثَـــرا
هِيَ الشَّهَادَةُ أعْراسٌ يُـــزَفُّ لَهَا رِجَالُهَــــا ومَعَالي المجــدِ حيــثُ ترَى

تَزاحَمُــوا في دُرُوبِ الحقِّ واستَبَـقُــوا ... إلى مَنـاهِلِهـا الأحـداثَ والغِيَـرا

تَنافَسُــوا في مَيادِيــنِ الهُــدَى شَرَفاً ... وأَقْبَلُوا وَثُبَـاتٍ بَيْنَهـا زُمَـرا

وَآيَــةُ الله فِيهِمْ أَنَّهُـمْ سَبَقُـــوا ... راضين، كُلٌّ على إحْسَـانِهِ ظَفَــرا

وخَلَّفُوا في وحُولِ الأَرْضِ مَنْ عَلِقَتْ ... قُلُوبُهُــم بِهَوى مِنْهَا ومَنْ قَصَــرا

تَنافَسُوا شَهْوَةَ الـدَّنْيَا فَما رَبحِــوا ... إلا الهَلاكَ ولم يَلْقَــوا بهَا وَطَــرا

لما انْتَهى أَجَــلٌ قَالُوا: إذنْ خَسِرَتْ ... تِجَارَةٌ، وَيْلَهُـمْ، يا ذُلَّ مَنْ خَسِــرا

● ● ●

بين ريحانتين
سباق على درب الشهادة

رَيْحَانَتَــانِ عَلى جَنْبَيْهِ أَقْبَلَتَــا ... وضَمَّتَاهُ! فَصَبُّــوا الشَّوْقَ والعِبَرا[1]

حَنَّا إلَيْــهِ فَحَنَّا للأُبُـوَّةِ! كَــمْ ... هَاجَ الحَنانُ لَـهُ الأكْبَــادَ والبَصَــرا

ما كَادَ يَلقَاهُمَــا حتَّى مَضَى بِهِمَــا ... رَكْضــاً إلى الله يَلْقَونَ الذي قَـدَرا

بُشْرَى مِن الله! عُقْبَى المؤمنين رِضـــاً ... ورحْمَــةُ الله تُوْفي كُلَّ مَن صَبَــرا

وفَــوَّحَ الدَّمُ مِسْكاً لَيْسَ يَعْـدِلُــهُ ... مِسْكٌ ولا نَشَــرَ المِسْــكُ الذي نَشَرَا

● ● ●

للهِ دَرُّكَ عَبْدَ الله! جِئْتَ عَلَــى ... عَزِيْمَةٍ لِسِبَاقٍ جَــدَّ واسْتَعَــرا

وجِئْــتَ في عجَــلٍ بيْنَ الزِّحَامِ إلى ... شَهَادَةِ الحَقِّ، هاجَ الشَّــوْقُ وانفجَـرا

---

(١) إشارة إلى ولديه: محمد (٢٠ عاماً) وإبراهيم (١٥ عاماً) رحمهما الله، كانا قد حضرا لزيارة والدهما من عمّان يوم الخميس قبل حادث الاغتيال بيوم، وقد وقع الحادث الأليم وهم في طريقهم إلى صلاة الجمعة في بيشاور ٢٦ ربيع الآخر ١٤١٠هـ، (٢٤/١١/١٩٨٩م)، حيث فُجّر عن بعد لغمٌ حين مرّوا بسيارتهم بجانبه رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة وتقبلهم شهداء في جنته..

أَتَيْتَ والـدَّمُ دَفَّاقٌ بِلَهْفَتِهِ ... إلى السِّبَاقِ، فَطُوبى للذي صَبرا

عَلَى مُحَيَّاكَ مِنْهُ نُورُ مَلْحَمَةٍ ... ومِن عُروقِكِ جُرْحٌ لم يَزَلْ غَبِرا

كَأَنَّ دَرْبَكَ لَم تَتْرُكْ به أَثَراً ... إلَّا وأَورقَ غَرْساً فيهِ أَوْ ثَمَرا

وأَورقَ الصَّخْرُ مِن شَوْقٍ أَلَحَّ بِهِ ... ومِنْ دَمٍ سَالَ في أَعْرَاقِهِ وجَرَى

وأَزْهَرَ الأُفْقُ رَيْحَاناً يَطُوفُ به ... ويَمْلأُ الكَوْنَ فَوَّاحاً بِهِ عَطِرَا

كَأَنَّما وَصَلَ الدُّنْيَا بِآخِرَةٍ ... وَعَادَ يَنْشُرُ عَنْهَا الآيَ والعِبَرا

عَجِبْتُ مِنْ عَبَقٍ جازَ المَدَى ومَضَى ... وَعَادَ أَغْنَى إذا مَا هَبَّ وابْتَدَرا

● ● ●

للهِ درُّكَ عَبْدَ اللهِ مِنْ رَجُلٍ ... ضَرْبٍ مَضَى أَلجَمَ الأَهْوَاءَ فانْتَصَرا[1]

شَمَّرْتَ عَنْ عَزْمَةٍ للهِ صَادِقَةٍ ... وخُضْتَ لُجَّةَ مِنْ لم يَعْرِفِ الحَذَرَا

عَلَى ذُرا «هِنْدِكوش» لَهْفَةٌ خَفَقَتْ ... وفي السُّفُوحِ هَوًى مَازال مُنْتَظِرا

تَطَلَّعَتْ كَيْ تَرَى الأَبْطالَ صَاعِدَةً ... إلى ذُراهَا وَتَلْقَى شَوْقَهَا النَّضِرَا

لكِنَّها ذَهِلَتْ مَشْدُوهَةً وَرَأَتْ ... وثْباً يُسَابِقُ مِنْهَا الأَنْجُمَ الزُّهُرَا

وثْباً يَدُقُّ بِكَفَّيْهِ الجِنَانَ هَوًى ... يُلِحُّ أَوْ يَطْرُقُ الأَحْدَاثَ والغِيرا

مَنْ ذاكَ قَالَتْ؟! فَرَدَّتْ كُلُّ ناحِيَةٍ ... هذا الذي صَدَقَ الرَّحْمٰنَ ما نَذَرا

مَضَى لِيَلْحَقَ إِخْواناً له سَبَقُوا ... طُوبَى لِمَنْ لَحِقَ الأَبْرَارَ والأَثَرَا

● ● ●

تميم العدناني

بالأمسِ ودَّعْتَ حِبّاً كُنْتُما أَبَداً ... عَلَى سِبَاقٍ تَحُثَّانِ الخُطَا قَدَرَا

---

(١) ضَرْب: الرجل الماضي الندبُ، الخفيف اللحم.

مَضَى «تميمٌ» إلى الرَّحمٰن مُرْتحِلاً ... وَزَادُهُ مِنْ جِهَادٍ صَابرٍ زَهَرا
على المَيادين صَبَّ العَزْمَ مُحْتَسِباً ... وراغباً في نَعِيم الله مُصْطبِرا
تَقْوى تشُقُّ لَهُ دَرْبَ الجنانِ وَهلْ ... أعزُّ مِنْ ذاكَ زاداً للذي نَفَرا
حَثَّ الخُطَا عَجِلاً لله يَغْلِبُه ... شَوْقٌ لكُلِّ الذي رجّاهُ وانْتَظَرا
طَابَ التَنَافُسُ في التَّقْوى فإنِ سَبَقَتْ ... أَشْواقُهُ فَهُمَا عَدْلانِ مَاصَبَرا
والله يَجْزي جِهَادَ الصَّادِقينَ على ... مِيزَانِ عَدْلٍ ويُوفي كُلَّ مِنْ شَكرا
أَبا «أُسَامَةَ» يا مَنْ مَاتَ مِرْتَحِلا ... تَطْوي مِنْ الأَرْض بَحْراً هَاجَ أو نَهرا
وتَجْتَلي في فضاء الله تقطعُهُ ... تُغْني الجِهَادَ عَطاءً جَلَّ أو وَفُرا
كَمْ طُفْتَ تَقْرَعُ بَيْنَ الناسِ أَفْئِدةً ... تَبْني وتُوقِظُ مِنْ أَغْفَى ومَنْ عَثَرَا
حَتَّى عَلَوتَ عَلَى سَاحَ الوَغَى رَجُلاً ... أَشَمَّ يَطْلبُ عِنْدَ الله ما بَصرا
هِيَ الجِنَانُ يَرَاها مؤمِنٌ ويَرَى ... سَبيلَها ثُمَّ يَمْضي يطلبُ الأَثرا

● ● ●

شُهَدَاء الأَفْغَان
أَبْطَالُ مَلْحَمَةٍ جُلَّى

أَرْثي إِذَنْ بِهِمُ أَبْطَالَ مَلْحَمَةٍ ... جُلَّى قَضَوا وَدَماً في سَاحِها انفجرا
مِنْ كُلِّ شَهْمٍ عَظِيمٍ ،بَاتَ مُشْتَهِراً ... وكُلُّ شَهْمٍ عظيمٍ ظَلَّ مُسْتَتِراً
كَمْ مُؤمِنٍ جَالَ في سَاحَاتها بَطَلاً ... قضَى هُنالِك لاَ نَرْوي لَهُ خَبرَا
أَغْنَاهُمُ الله عَنْ نَثْرٍ وَقَافِيَةٍ ... طُوبَى لِمَنْ فَازَ بالحُسْنَى ومَنْ ظَفَرَا

● ● ●

أَفْغَــانُ!

لا زِلْتِ في الظلمـــاء زاهِــرَةً

أَفْغَانُ! لاَزِلْــتِ في الظَّلْماءِ زاهــرةً بَدْراً أَطَلَّ وكَفّاً يَمْسَــحُ الكَــدَرَا

واهــاً لذِلَّتِنـا والغَافِلُــون عَــلَــى هُوْنٍ يَظُنُّــونَ أَنَّ الفَجْرَ مَا ظَهَــرَا

الـغَـافِـلُــونَ عَلَى طِيْـبٍ وفي فُـرُشٍ الشاربون عَلَى أَهــوائِهِــمْ سَــكَرا

الغَارِقُــونَ بِلَهْوٍ جُنَّ مِنْ عَبَــثٍ يَصُبُّ مِلءَ عُـــرُوقٍ مِنْهُــمُ خَــدَرَا

دَنا العَــدُوُّ وأَضْحَى في منازِلِهِــمْ ومَا صَحَوا، وعلى أَعْراضِهِـــمْ قَــهَرا

مَنْ لَمْ يُفِقْ وَلَهِيبُ الحَــرْبِ مُسْتَعِــرٌ تَوَلَّتِ النّــارُ مِنْهُ الــذُّلَّ والخَــوَرَا

الأَربعــاء

١/ ٥/ ١٤١٠هـ

٢٩/ ١١/ ١٩٨٩م

فهـرس الكتـاب

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

كتب للمؤلف

- ☐ دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية ـ الطبعة الخامسة.
- ☐ الشورى وممارستها الإيمانية ـ الطبعة الثالثة.
- ☐ الشورى لا الديمقراطية ـ الطبعة الثالثة.
- ☐ لقاء المؤمنين ـ الجزء الأول ـ الطبعة الرابعة.
- ☐ لقاء المؤمنين ـ الجزء الثاني ـ الطبعة الثانية.
- ☐ منهج المؤمن بين العلم والتطبيق ـ الطبعة الثالثة.
- ☐ التوحيد وواقعنا المعاصر ـ الطبعة الأولى.
- ☐ العهد والبيعة وواقعنا المعاصر ـ الطبعة الأولى.
- ☐ إلى النهج والممارسة الإيمانية ـ الطبعة الثالثة.
- ☐ الصحوة الإسلامية إلى أين؟! الطبعة الأولى.

- ☐ الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته ـ الطبعة الثانية.
- ☐ الحداثة في منظور إيماني ـ الطبعة الثالثة.
- ☐ تقويم نظرية الحداثة ـ الطبعة الأولى.

- ☐ ديوان الأرض المباركة ـ الطبعة الخامسة.
- ☐ ديوان موكب النور ـ الطبعة الثالثة.
- ☐ ديوان جراح على الدرب ـ الطبعة الثانية.

- ☐ ملحمة الغُرباء ـ الطبعة الثانية.
- ☐ ملحمة القسطنطينية (فتحان) ـ الطبعة الأولى.
- ☐ ملحمة الجهاد الأفغاني ـ الطبعة الثالثة.
- ☐ ملحمة فلسطين ـ الطبعة الرابعة.
- ☐ على أبواب القدس ـ الطبعة الأولى.
- ☐ دراسة انتشار الموجات الالكترومغناطيسية المتوسطة (باللغة الإنجليزية) ـ الطبعة الأولى.

كتب تحت الطبع

- ☐ النية في الإسلام وبُعدها الإنساني.
- ☐ ملحمة الأقصى.
- ☐ ملحمة الهند.
- ☐ جهاد الدكتور عبدالله عزام بين فلسطين وأفغانستان.

فسـح وزارة الإعـلام
رقـم ٤٢٦٣ / م
وتاريـخ ٢٣/ ٦/ ١٤١١هـ
الرياض - المملكة العربية السعودية



دار النحوي للنشـر والتوزيـع

تلفون وفاكس: ٤٠١٠٢٥٧ - ص . ب: ١٨٩١ - الرياض ١١٤٤١

المملكـة العربيـة السـعودية

مطابع التقنية للأوفست - الرياض - تلفون: ٤٨١١٩٨٨

خريطة أفغانستان تبين مدنها الرئيسية والحدود الجغرافية

